سلسلة شاعر ومختارات



محمد الفيتورى

دكتور حامد طاهر
عميد كلية دار العلوم
جامعة القاهرة

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

مدخـــل

الأمة العظيمة لاتخلو من شاعر كبير ٠ وهذا الشـاعر هو الذى يتغنى بأمجادها ، وينشر فضائلها ، كما أنـــه عنـــد الأخطار يحذرها مما قد تقع فيه ٠ وقد أثبتت التجـــارب أن مثل هذا الشاعر لابد أن يمتلك بصيرة حادة ، تمكنـــه مـــن استبطان الواقع ، واستشراف المستقبل ، ررؤية ما لايـــراه الآخرون من معاصريه ٠ فمثلا عندما قال أحمد شوقى :

بالعلم والمـــال يبنـــى النـــاسُ ملكـــهمُ
لـــم يُبن مُلْك علـــى جهـــل وإقـــلال

كان يوجه أمته إلى الركيزة الأساســـية للتقـــدم ، والتـــــى مازالت صالحة حتى اليوم ٠

وفى الخمسينات من القرن العشرين ، فوجئ الوســـط الثقافى فى القاهرة بشاعر شاب، وكان مايزال طالبـــاً فـــى

كلية دار العلوم ، يصدر ديوان شعر ناضج للغاية ، بعنوان (أغانى إفريقية) ، تدور معظم قصائده حول القارة الإفريقية كلها : عذاباتها ، ومعاناتها ، وحثها على النهضة ، بل ودعوتها إلى الثورة على أوضاعها المتردية ، والوقوف بكرامة فى وجه المستبد الأبيض الذى خنق حريتها ، واستغل ثرواتها ٠٠

كان هذا الشاعر هو محمد الفيتورى ، وكانت قضية إفريقيا باهتة فى ذهن العالم الخارجى ، ولم تكن هناك آمال حقيقية لحلول عاجلة ، ولكن الفيتورى ظل يدق طبول الكفاح الإفريقى ، ويستنهض الهمم ، ويشجب السلبيات ٠٠ وها نحن اليوم ، وبعد مرور حوالى نصف قرن ، نرى إفريقيا متيقظة لذاتها ، بعد أن نفضت عن كاهلها كابوس الاستعمار وقويت لدى شعوبها روح الكرامة ، ورفرفت عليها رايات الاستقلال والاعتزاز بالذات ٠

ثم كانت القضية الثانية هى القضية العربية ٠ فبعد أن تحررت مجموعة البلاد العربية هى الأخرى من قبضة

الاستعمار الغربى ، أخذت تعمل جاهدة لإعادة البناء ، واستكمال مقومات النهضة ، حتى تلحق بركب التقدم الذى كان قد تجاوزها لمئات السنين ٠٠ وكانت انتصارات ٠ وكانت هزائم ونكسات ، عاشها الفيتورى بكل إحساس الشاعر الكبير ، الذى لم يقصر اهتمامه على بلد عربى واحد، وإنما غنى وبكى واستصرخ لكل ما كان يحدث فى مصدر ، والسودان ، وليبيا ، ولبنان ، والعراق ، والصومال، وفلسطين ٠٠

لايستطيع قارئ الفيتورى أن يفرق فى شعره بين ماهو شخصى وقومى ، أو بين ماهو خاص وعام ٠ فهو يمزج دائماً بين الاثنين لأنهما ممتزجان بالفعل فى شخصيته ٠

وإذا كان لكل شاعر مستوياته من التحليق ، فإن الفيتورى فى معظم أحواله شاعر كبير ومجيد ، قلما تعثر لديه على نتوءات أو نواقص ٠ ولاشك أن وراء ذلك عملاً فنياً يبذله الشاعر ، ويستحق منا أن نتلقاه بكل تقدير ٠

ومن جانبى ، لم أجد أى حرج فى اختيار الفيتورى ، وهو موجود بيننا ، ضمن "سلسلة شاعر ومختارات" التى قدمت فيها كلا من هاشم الرفاعى ، وصالح الشرنوبى ٠٠ وذلك لسبب بسيط ، وهو أن قصائد الفيتورى التى نشرت - حتى الآن - تمثل زاداً وفيراً يستحق الاختيار منه : وهو اختيار أرجو منه تحقيق هدفين : تزويد شباب الأمة العربية بطاقة وجدانية تقوى فيهم روح الكفاح والانتماء ، وتقريبهم- فى نفس الوقت - من بعض الروائع التى أنتجها كبار الشعراء العرب الموهوبين ٠٠

والله ولى التوفيق ،،

حامد طاهر

سيرة حياة الشاعر

إنه تقليد عربى قديم ، وليس لنا إلا أن نأخذ به، ونحن بصدد كتابة هذه السيرة المختصرة ، وأعنى بذلك أن المكان المتأرجح ، وليس الثابت ، والزمـــــان المحتمـــل ، وليـــس الموثوق منه ، هو الأقرب إلى الحقيقة !

وبالنسبة لشاعرنا محمد الفيتورى ، فلقد بلغنا - والعهُدة على الراوى كما يقولون - أنه ولد فى مدينة الجنينة ، التـــى تقع فى أقصى الغرب السودانى ، المحازى لجمهورية تشاد ، وهى عاصمة دار المساليت ، مَعْبَر قبـــائل التُّبـــو ، ومقـــر المساليت ، وزغاوة ، وممر المعاملات التجارية ، من ليبيـــا إلى صعيد مصر ، إيغالاً فى أحشاء الغرب الافريقى .

وبلغنا أيضًا ، أن حركة وامتزاج القبـــائل والعنـــاصر الزنجية ، والعربية ، والنيلية ، فى هذه المنطقة المائجـــــة ، تجعل من المستحيل إمكانية ضبط المواعيد الدقيقة ، لسنوات المواليد ، بالنسبة للأطفال وتواريخ نشوئهم .

ومثال على ذلك ، أن يقال : إن فلانا قد ولد فى عـــام الجراد ، أو عام الطوفان ، أو عام سقوط الأمطار ، وربمــا عام تصالح أو تصارع قبيلتى كذا وكذا ٠٠

وكما نرى ، فإن احتمالات الخطأ والصــواب واردة ، على أن واجبنا ، هو الأخذ بالأحوط ، إن لم يكـــن الأخــذ بالأصوب ٠

وهكذا فإن بعض من حاولوا التدقيـــق فـــى تـــاريخ ومكان مولد شاعرنا الفيتورى يتراوحون بيـــن احتمـــال أن يكون مولده عام ١٩٣٠ أو عـــام ١٩٢٩ ، أو ربمـــا عـــام ١٩٣١ ، إلا أننا لايمكن أن نتجاهل أو نتنكر ، لما بين أيدينا من أوراق ثبوتيه ، ووثائق رسمية يحملها الشاعر ، وتقـــرر أن تاريخ ميلاده هو سنة ١٩٣٦ ، تبعاً لتسنين الطبيب لـــه ، ساعة التحاقه بالسنة الأولـــى بالمعـــهد الدينـــى الابتدائـــى بالإسكندرية ٠

وفى هذا الصدد ، تقول الأوراق الرسمية ذاتـــها ، إن محمد مفتاح رجب الفيتورى ، ينحدر من أبوين مـــهاجرين ، الوالد ليبى الأصل ، وهو مفتاح رجب الشيخى الفيتـــورى ، حفيد الولى الصالح عبد السلام الأسمر الفيتـــورى ، بينمـــا الوالدة ليبية ، مصرية ، سودانية ، وهو عزيزة بنت علـــى سعيد الشريف الجهمى • وكلاهما مهاجران من ليبيا ، فيمـــا قبيل اشتعال الحرب العالمية الأولى ، ولا تعرف بـــالضبط أسباب هجرتهما ، إلا أن المعروف ، هو أن والدة الشاعر ، هى الإبنة الرابعة لأحد تجار الرقيق حينذاك ، بينما والدتـــها هى السيدة زهرة الجرعانية ، ابنة شـــيخ قبيلـــة الجرعـــان (القرعان) التى جرى اختطافها طفلة ، ثم إهداؤها إلى تـــاجر الرقيق على بن سعيد الجهمى ، جد الشاعر الفيتورى ، الذى تسرى بها ، ثم تزوجها فيما بعد •

تلك الأسرة الغامضة ، تاريخيـــاً وإنســـانياً ، كـــان لتناقضاتها وانتماءاتها العرقية والتاريخية الغريبـــة ، أثرهـــا الكبير ، والمتواصل فى عملية بناء وتشكيل وجدان الشاعر ، وتزويده بثقافة دينية ومحلية استمرت كامنة فى أعماقه طيلة

حياته ، فوالده شيخ السجادة العروسية الشاذلية الأسـمرية ، أو الطريقة الأسمرية ، ومنه رسخت فى نفس الشاعر بـذور صوفية ، يبدو بوضوح أنها قد تفاعلت فى روحه ، وأثمرت فى الكثير من قصائده ، وخاصة فى المرحلة الأخـيرة ٠٠ وجدته السيدة زهرة هى التى رسمت له دون أن تدرى منـذ الطفولة صورة الحياة الإفريقية ، وجعلته يعيـش المعانـاة الحقيقية فى القارة السوداء ، وأسـمعته دقـات وإيقاعـات طقوسها ، كما ملأت رئتيه بروائـح بخورهـا وأسـرارها العجائبية ٠

ولسنا ندرى تفاصيل ماحدث ، إلا أننا الآن فى مدينـة الإسكندرية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، وفى بيـت متواضع ، يمتلئ بالطيبة والإيمان والتصوف والكفاح مـن أجل لقمة العيش حيث نشأ محمد الفيتورى ، وحيث أرسـله والده إلى الكتاب "بمدرسة مكارم الأخلاق الإسلامية "ليحفـظ القرآن الكريم ، ثم إلى المعهد الدينى الابتدائى ليدرس فيـه العلوم الأزهرية من فقه ونحـو وصـرف وأدب وبلاغـة وتاريخ إسلامى ، إلى جانب طرف من علوم الرياضيـات

والطبيعة • وقبيل حصوله على الشـــهادة الثانويـــة ، قـــرر الانتقال إلى المعهد الثانوى الأزهرى بالقاهرة ، ومـــن ثـــم التحق ضمن حوالى مائه طالب متفوق ، بكلية دار العلـــوم ، إلى جانب حوالى أربعمائه من الحاصلين على الثانوية العامة من المدارس المدنية •

كلية دار العلوم فى منتصف الخمسينات كـــانت بيئـــة ثقافية متكاملة ، ونظراً لموقعها فى وســـط القـــاهرة بحـــى المنيرة حينئذ ، فقد كانت تستقطب كافة المثقفين ، ويلتقى فى ندواتها الأدبية ومهرجاناتها الشـــعرية كـــل أدبـــاء مصـــر ومفكريها ، أما الفضل الرئيسى فى ذلك فقد كان يرجع إلـــى القائمين على إدارتها ، وكذلك إلى أساتذتها ومعيديها الذيـــن كانوا متفتحين على الحياة الثقافية فى مصر والعالم العربى• وقد وجد الفيتورى فى هذه البيئة الكثـــير مـــن الرعايـــة ، وحظى شعره المتميز بإعجاب أساتذته وزملائه ، الأمر الذى دفعه إلى أن يصدر ديوانه الأول "أغـــانى إفريقيـــة" ســـنة ١٩٥٥، وهو ما يزال طالباً فى السنة الثانية بدار العلـــوم ،

مما دعا الكلية إلى أن تقيم حفلاً تكريميا ، لأول مـــرة فـــى تاريخها ، بمناسبة ظهور ديوان ذلك الطالب الموهوب ٠

كان الديوان صرخة ذات إيقاع متميز للغاية دوت عالياً فى فضاء الساحة الأدبية ، وتناوله كبار النقاد فـــى مصـــر بالتعليق والتحليل والإعجاب ، مثل عباس العقاد ، وســلامة موسى ، وزكريا الحجاوى ، وكـــامل الشـــناوى ، وأحمـــد رشدى صالح ، ومحمود أمين العالم ، وغيرهم ، وبســـرعة قفز اسم محمد الفيتورى ليقف بجدارة إلى جوار صلاح عبد الصبور ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب ، وما لبـــث أن أصبح ضيفاً أثيراً على المنتديات الشعرية فى القاهرة ٠

لست أدرى ما السبب الذى دفع الفيتورى لكى يـــهجر دار العلوم تماماً ويتجه الى العمل الصحفى الذى رحبت بـــه أوساطها ؟ هل لأن الدراسة النظامية بالكلية لم توافق طبعـــه القلق ، المتمرد دوماً ؟ لكنه استطاع أن يصبر على الدراسة الأزهرية فى المعهد الدينى طيلة تسع سنوات متتاليـــة ، أم هل لأنه وجد نفسه قد حقق ما تؤدى إليه دراسته الجامعيـــة

من نتائج أدبية كان يطمح إليها ؟ هذا أمر وارد ٠٠ أم هـل لأن عالم الصحافة السريع الإيقاع ، البعيد عن الملل ، قـد استغرقه فلم يعط للدراسة فى الكلية الأهمية اللازمة ؟ وأيضا هذا أمر وارد ، وأخيراً ٠٠ هل أحس الفيتورى أن ما يلـزم طاقته الشعرية من وقود لايوجد فى مناهج دراسية محـددة ، أو قاعات محاضرات مغلقة ، فهجرها إلى ميـدان العمـل المفتوح ٠٠ ربما ٠

إن لكل شاعر ظروفه وطموحات مستقبله ٠٠ والمـهم أن الفيتورى صمم - منذ شبابه الباكر - أن يكون شـاعراً ، وشاعراً فقط ، لذلك فإنه وهب الشعر كل حياته ، ولم يرض لأى نشاط آخر أن يزحزح الشعر عن مكانته الأولى ، بـل الوحيدة ، فى نفسه ٠

وعاد الفيتورى إلى السودان فى عام ١٩٥٨ ، وهنـاك مارس العمل الصحفى وكتب فـى العديـد مـن الجرائـد والمجلات ، بل إنه رأس مجلة (هنا أم درمان) حتـى عـام ١٩٦٤ ، ثم انتقل بعد ذلك إلى لبنان ، التى كانت عاصمتـها

بيروت تموج كعادتها بحركة صحفية وأدبية ، وجد الفيتورى فيها نفسه ، ومنها انتقل إلى العمل خبيراً إعلامياً في جامعة الدول العربية ، وظل فى هذه الوظيفة حتى عام ١٩٧١ ، عندما غضب عليه الرئيس السودانى السابق جعفر النميرى، نتيجة لكتابته قصيدة (إلى عبد الخالق محجوب ورفاقه) الذين أعدمهم. ومن جديد احتضنته القاهرة ، لكى تقدمه الى العالم الشعرى من جديد ..

وعاد الشاعر مرة أخرى إلى لبنان .. لكنه ما لبث أن أبعد عنها لأسباب سياسية ، ويقول البعض إنها أسباب عاطفية ، وقد أحدث هذا الإبعاد صدى واسعاً لدى المثقفين والأدباء ، فأعيد اليها مرة أخرى .

ثم سافر الفيتورى إلى ليبيا .. وهناك حصل على الجنسية الليبية ، وتولى عدة مناصب سياسية ، كان منها : منصب المستشار الثقافى فى سفارة ليبيا فى روما ، وبيروت، ودمشق ، والمغرب ، وأخيراً المستشار الثقافى فى السفارة الليبية بالقاهرة منذ عام ١٩٩٧ (وحتى كتابة هذه

السطور) ، ولاشك أن ما قامت به الثورة الليبية بقيادة الأخ المناضل القذافى قائد الثورة نحو احتضان الفيتورى يعد عملاً حضارياً من الطراز الأول ، فالفيتورى شاعر عربى كبير ، وشخصية أدبية تكاد تذكرنا بتلك الشخصيات الأسطورية ، فى تاريخنا العربى القديم ٠

ما يزال العطاء الشعرى للفيتورى مستمراً ، وهو ينشر فى كبرى الجرائد العربية ما يكتبه من قصائد ، أذكر من بينها قصيدته التى نشرها فى الأهرام عن الثائر الكردى أوجالان ، والتى لم يجرؤ أى شاعر عربى معاصر على الإشارة إليه - حين تم اعتقاله - بكلمة واحدة !

أما إنتاج الفيتورى فيتمثل - حتى الآن - فى أربع مسرحيات ، منها اثنتان مكتوبتان نثرا ، هما :

يوسف بن تاشفين

الشاعر واللعبة

ومسرحيتان شعريتان هما :

أحزان إفريقيا (سولارا)

ثورة عمر المختار

و١٢ ديوان شعر ، نشرت فى ثلاث مجموعات شــعرية الأولى والثانية فى لبنان ، والثالثة فى القاهرة وهى كالتالى :

أغانى إفريقية (٢٨ قصيدة)

عاشق من إفريقيا (٣٠ قصيدة)

أذكرينى يا إفريقيا (١٨ قصيدة)

سقوط دبشليم (قصيدة طويلة مكونة من ٣٠ مقطعاً)

البطل والثورة والمشنقة (١٥ قصيدة)

ابتسمى حتى تمر الخيل (١٥ قصيدة)

أقوال شاهد اثبات (١٢ قصيدة)

معزوفة لدرويش متجول (١٤ قصيدة)

يأتى العاشقون اليك (١٧ قصيدة)

قوس الليل قوس النهار (٣٨ قصيدة)

أغصان الليل عليك (١١ قصيدة)

وقد ترجمت العديد من قصائد الفيتورى الى عدة لغات أجنبية منها : الإنجليزية ، والفرنسية ، والأسبانية ، وبصفة خاصة الألمانية ٠

وقد حصل الفيتورى على عدة أوسمة وجوائز من أهمها :

- وسام الفاتح العظيم من الدرجة الأولى ، مهدى من قائد الثورة الليبية ، الأخ العقيد معمر القذافى ١٩٨٩
- وسام التقدير الأدبى من الجمهورية العراقية ٠
- الوسام الذهبى للعلوم والآداب والفنون من جمهورية السودان ٠
- جائزة كفافيس للشعر العربى ٠

* * *

شاعرية الفيتورى

الشاعرية تعتمد على ثلاثة ركائز رئيسية هى : موهبة الشاعر ، وتكنبكه الفنى ، ثم الرسالة الشعرية التـــى يريـــد توصيلها للناس ٠

ولما كانت **الموهبة** نعمة إلهية ، يختص بـــها بعــض الشعراء دون بعض ، فإن مـــن إولـــى خصائصـــها عـــدم ارتباطها بعمر معين ، أو حتى بتعليم وتدرب ٠ والملاحـــظ أنها قد ظهرت لدى الفيتورى فى سن مبكرة جدا ، وعلامـــة ذلك أنه استطاع – وهو مايزال فى العشرينات - أن يصـــدر ديوانه الأول "أغانى افريقية" ، الذى جاء على نحو نـــاضج تماما ، واستطاع أن يثبت مكانة الشاعر فى الأوساط الأدبية بمصر ، والعالم العربى ٠

ومن خصائص الموهبة الشعرية أنها تختصـــر علـــى صاحبها الكثير من الجهد التعليمى والتدريبى ، وتقفـــز بـــه مباشرة بين صفوف كبار الشعراء ٠ فنجـــده مثـــلا يتقـــن

موسيقى الشعر دون أن يكون قد تعلم أصولها ، ويقيم بنـــاء الجملة الشعرية الصحيحة دون أن يكون قـــد درس علمـــي النحو والصرف ، كما نجده قادراً على تكوين صور شعرية، ذات مستوى بلاغي رفيع ، دون أن يكون قد اطلـــع علـــى مذاهب البلاغة وتفريعاتها • وما أجمل المثل المصرى الذى يعد أصدق تعبير عن هـــذه الحالـــة ، فيقــول "الكتكــوت الفصيح•• فى البيضة يصيح" •

وهنا يبرز سؤال : هل المواهب الشعرية متســاوية ؟ والإجابة أنها متفاوتة فى الحجــم والعمــق والاســتمرار • والدليل على ذلك أننا لو قمنا باستعراض إنتاج شاعرين ، أو مجموعة من الشعراء ينتمون إلى عصر واحـــد ، أو جيــل واحد ، أو حتى تكوين ثقافى واحد ، فسوف نـــدرك علـــى الفور مدى تفاوت مواهبهم ، واختلاف القدرة لدى كل منـــهم على التحليق فى آفاق أوسع ، أو التقاط موضوعات أكــثر ، أو العثور على اكتشـــافات شـــعرية أروع مـــن زميلـــه أو زملائه• ولنأخذ مثالاً على ذلك كلا مـــن شـــوقى وحـــافظ (اللذين اشتبك اسماهما على نحو قدرى عجيب) • فحـــافظ

ابراهيم يكتب قصيدته "العُمرية" ، يسرد فيها مجموعة من مواقف الخليفة العادل عمر بن الخطاب • وهي قصيدة طويلة ، وجيدة • لكنها لاتصل - بحال من الأحوال - إلى بعض قصائد شوقي كالهمزية النبوية ، أو الأزهر ، أو النيل، التى تحتوى كل منها على مجموعة من اللآلئ الشعرية ، التى يندر أن يقع عليها شاعر آخر ، بما فيهم حافظ نفسه •

كذلك فإن الموهبة الشعرية القوية قد يعتريها الضعف، بل إنها قد تموت والشاعر مازال حيا • وهناك أمثلة عديدة على ذلك لشعراء توقفوا عن كتابة الشعر ، وانصرفوا إلى أنشطة ادبية أو ثقافية أخرى • وهنا لابد من التفرقة بين الشعر الحقيقى والنظم • فالنظم هو مجرد قدرة آلية على كتابة شعر موزون بقافية ، ولكنه خال من روح الشعر • وهذا النظم يستطيع أصحابه أن يظلوا يكتبونه حتى وهم على فراش الموت ! أما الموهبة الشعرية القوية فإنها تستمر بنفس حيويتها بل إنها تزداد مع مرور الأيام والتجارب صفاءً وتركيزا •

ونحن إذا تأملنا موهبة الفيتورى ، وجدناها من تلــــك المواهب التى لم تضعف قوتها على الرغم من مرور الزمن، بل إنها ظلت متوهجة ومتميزه بنفس حدتها الأولى ، بل إنها زادت من كثرة التجارب ، والتقلب فى عواصم عربية ودول أوربية مختلفة ، ومحاولاته المستمرة تجريب أشكال متنوعة من القصائد ، تبعاً لمذاهــــب أدبيـــة عالميـــة (كالســـريالية وغيرها)٠

لقد سبق لى أن أشرت فى كتابى عن هاشم الرفاعى ، وصالح الشرنوبى أن بشائر الموهبة الشعرية تظهر منذ عمر مبكر ٠ وموهبة الفيتورى لاتتخلف عن ذلك ٠ فنحن نجـــــد فى ديوانه الأول - الذى أصدره سنة ١٩٥٥ ، وهو مـــايزال طالبا فى الجامعة - قصائد كتبت فى عمر مبكر جداً ، وهـــى فى نفس الوقت على مستوى عال من النضج الفنـــى ، بـــل إن بعضها يصل بالفعل إلى مستوى الشعر العالمى ٠

ويمكن التوقف طويلاً أمام قصيدة الفيتـــورى بعنـــوان "تحت الأمطار" التى تعد نموذجـــاً لذلـــك ٠ فـــهى قصيـــدة

قصيرة، لكنها شديدة التركيز ٠ وهى تصور مشهداً مألوفاً ، لكنه بالغ التميز ، وتتعدد فيها الأصوات : صوت الشــاعر ، وصوت سياط سائق العربة ، وصوت المـــوت ٠٠ تحــت إيقاع صوت المطر الهاطل فى الليل : وكل ذلك فى مقـــابل صمت الخيول المتعبة الدامية الرقبة من أثر حديد السرج !

إن القصيدة فى مجملها رمزية : سائق عجوز أنـــهك خيول عربته دون مبالاة بآلامها (كذلك كل ســلطان غاشــم ينهك شعبه دون أن يستمع إلى شكواه) القصيدة بناء درامـــى محكم ، يتميز أول مايتميز بانعدام الزوائد (أى كلمات الحشو التى يلجأ إليها الكثير من الشعراء) واتقان اختيـــار القافيـــة الموضوعة فى مكانها تماما (دون الوقوع فى هاوية القوافـــى الاضطرارية) وإلى جانب هذا وذاك : تلك البلاغـــة التـــى تمزج بين الحقيقى والمجـــازى ، بيـــن الواقعـــى البســـيط والاستعارى ٠ إنها أقرب ماتكون إلى لغة السينما الحديثـة ، التى تنتقى المشاهد ذات الدلالة العميقة ، لتختصـــر بـــها - وفيها - الأزمنة ، والمسافات ، وتعبر فى لوحات متتالية عن المواقف ، حتى تصل إلى التأثير المطلـــوب فـــى أعمـــاق

المتلقى •ولنقرأ معا القصيدة (مستأذنا الشاعر فـــى كتابتـــها على نسق الشعر التقليدى) :

أيهـا السائـــق ٠٠ رفقـاً بالخيـــول المتعبـة
قـف ٠٠ فقـد أدمـى حديـدُ السرج لحـم الرقبـه
قـف ٠٠ فـإن الدرب فـى ناظـرة الخيل اشتبـه
هكـذا كـان يغنى المـوت حـول العربـه
وهـى تهـوى تحـت أمطـار الدجـى مضطربـه

* *

غيـر أن السائـق الأسـود ، ذا الوجـه النحيـلْ
جـذب المعطـف فـى يـأس علـى الوجـه العليل
ورمـى الـدرب بمـا يشبـه أنـوار الأفـول
ثـم غنـى سوطـه الباكـى على ظهر الخيول ٠٠
فتلـوت ، وتهـاوت ، ثـم سارت فـى ذهـول !!

* * *

التكنيك الفنى

البلاغة العربية كنز لايعرف قدره إلا العارفون بقيمة مايحتوى على من ماسات وجواهر ٠ ولاشك أن الفيتورى قد درس علم البلاغة فى مرحلة الدراسة الثانوية ، ثم فى دار العلوم ٠٠ وهو - كشاعر - استبقى لنفسه من هذا العلم أجمل مافيه ، وأجمله على الإطلاق ما يحتوى عليه باب المجاز وباب الاستعارة ، اللذان أبدع الشعراء العرب القدامى على منوالهما أروع التراكيب ٠

لكن البلاغة العربية لاتضع فى فم الشاعر ملعقه من ذهب ، وإنما تعطيه المفتاح السحرى الذى يمكنه من فتح بوابات جديدة فى آفاق الشعر العربى ٠ وقد ظن بعض الشعراء المحدثين - خطأ - أن الشعر العربى القديم قد استنفذ كل وسائله ، وأنه بلغ حداً اكتمل فيه حتى أغلق ، ونضج حتى احترق ٠٠ لكنهم لم ينتبهوا إلى سر البلاغة العربية الذى يتمثل فى كونها منهجاً لا موضوعاً ، وأسلوب صياغة لامادة صياغة ٠

وهذا هو السر الذى أدركه الفيتورى ، واحتفظ به لنفسه ثم استخدمه فى لغة الشعر ، لكنه أضاف إليه عنصرين جعلاه أكثر حيوية وأشد تأثيراً : العنصر الأول هو استمداده التشبيهات والاستعارات من واقع الحياة الثقافية الحية ، والثانى ما اقتبسه أو تأثر به من الثقافة الأجنبية ونماذج الأدب العالمى ·· فمثلا استطاع الفيتورى أن يمزج فى بعض قصائده بين البلاغة العربية والسريالية ، دون أن يقع فى فخ الغموض واللا معنى ·· وهنا لابد من الإشارة إلى خاصية يتميز بها الفيتورى وهى حرصه على تحديد ملامح صوره الشعرية تحديدا دقيقاً حتى تبدو بوضوح كامل للقارئ، وهو هنا أشبه بالرسام العالمى بيكاسو فى ألوانه الحادة والزاعقه ، وكذلك فى خطوطه السميكه والقاطعة ··

فإذا بحثنا عن مادة الصور الشعرية التى يستمد منها الفيتورى وجدناها تتمثل فيما يلى :

أولا : فى الحياة الإفريقية وحيواناتها وطيورها وأساطيرها ودقات طبولها ٠٠ الخ ٠

ثانيا : فى تجربة الإنسان العربى مع انكسارات الأمة العربية، ومحاولاته اليائسة تلمس أى نجم يلمع فى سمائها٠٠

ثالثا : فى التجربة الشعرية ذاتها ، التى ينصهر فيها الشاعر ويتألم ويصرخ ٠٠ ولكنه فيما يبدو مستعذب عذابها ، بل انه منتش من افتراسها له ٠

رابعاً : فى المفردات الكونيه التى تتجاوز حوائط المدن وأسقف العمارات الأسمنتيه لتغترف مباشرة من البحر والجبل والقمر والسماء والنجوم والكهوف والفصول الأربعة والرياح والبرق والرعد والشواطئ والرمال والحصى ٠٠ الخ٠

وأخيراً : فى عالم التصوف ، الذى كان والده أحد شيوخه وهو نفسه أحد مريديه ، بمواجيده وأحواله ولوامعه وانقباضه وبسطه وطقوسه ودروايشه ٠٠ الخ ٠

كيف يصوغ الفيتورى صوره الشعرية ؟

مثل صانع المنمنمات فى خـان الخليلـى بالقـاهرة ، يعكف الفيتورى على صياغة مفردات صوره الشعرية بـدءاً من تكوين "أوصاف" تخلع على الجماد طـابع الحيـاة ، أو تضفى على الأحياء خصائص الموت أو يعطيها لوناً حيـث لامكان فى العادة لقبول اللون • ومن ذلك : (القمر الميـت - الوتر الخجول - النحلة الذهبية - الياقوته الميتـه - الدجـى الأبنوسى - الشتاء الرمادى - الأفق الأرجوانى - السـكون الجليل - البرق الملثم••) •

وما أكثر ما يستخدم الفيتورى المضاف والمضاف إليه على هذا المنوال ، محاولاً دائماً أن يفجأ القارئ الذى ينتظر أن يأتى المضاف إليه مناسباً للمضاف ، ولكنه يصدم بشـئ مختلف تماما • ومن ذلك :
(كتب الرمل – كتب الغيم – وجـوه الدخـان – طاحونـة الريح- قارعة الوقت - أشجار السماوات - أمواج منتصـف الليل - فم النار - خزف الكلمات - حزن البحـر - حـزن

الضوء - غناء الجماجم - بلاط السكوت - نافذه البحر - سنبلة النار - شجر الدمع ٠٠)

وإذا كان ماسبق نماذج لصور مفردة ، فإن نماذج الصور المركبة لدى الفيتورى لاتقل جمالاً وروعة ٠ وهى بتكاملها ، أى ببدايتها ونهايتها (وأنا هنا ألفت الأنظار إلى الشعراء الذين يعجزون عن رسم صور شعرية متكاملة ، وبعضهم يبدأ بداية جيدة ثم لايلبث أن يفقد خيوط الصورة فتغيم تحت قلمه وتضيع) أمثلة من صور الفيتورى المركبة :

سياط الخيانة تجلد أرواحهم ٠

رؤوس المدن المقطوعة الخرساء ٠

كان كذئب الجبال وحيدا ٠

عينان شمسان رغبتان مثبتتان على لوحة الغيب ٠

كانت ألوف البنادق تبصق أحشاءها فيه ٠

ويرحل فى سحاب النار عنقود من السنوات ٠

أشباح موتى من الجوع تخضر سيقانهم فى الرمال وتيبس ثم تقيح ٠

رؤوس ملوك مرصعة بالأساطير ٠

لاتسكب دماءك فى الحروق سدى كما يتضع الموتى من الشعراء ٠

وهذه القدرة الفائقة على تكوين صور مبتكرة ، وأكاد أقول لايمكن توقيعها إلا باسمه ، يصبح الفيتورى قادراً على رسم لوحة متكاملة فى مقطع واحد مستخدماً مجموعة من الصور المتجاورة والمتتالية ، التى يكون مجموعها مايرى اليه ٠ ويمكن الإشارة هنا إلى مقطع من قصيدته عن المكافح الافريقى الكبير نيلسون مانديلا الذى يخاطبة قائلا :

يا أبنوس الخريف، الجنوبى
تطلع حقل نجوم على حائط الموت
تصبح أوسمة من بروق
وعاصفة من غناء
وغاباً عظيما من الرقص
أيها البطل الشيخ
مغتسلاً بمياه الثمانين
مختبئاً فى تجليك
متكئا فوق مجد الثمانين

ولايكاد الفيتورى يترك صورة من صوره الشعرية تمر على نحو مألوف للقارئ إلا ويطعمها بعنصر من المفاجأة غير المتوقعة · يقول فى قصيدته عصفور من الدم :

وهذا هو الدم العربى
الذى يتدفق عطشان
من فجوات الجراح
إلى فجوات الشوارع

فمن الطبيعى أن يتدفق الدم من جراح الضحايا الثائرين إلى فجوات الشوارع ·· ولكنه يصف الدم بالعطش، وهو وصف سريالى ، فالدم يروى أرض الوطن ولايعطش ··

وهناك إلى جانب ذلك ماتتميز به الصوره الشعرية لدى الفيتورى من وحشية وغرابة يندر أن نلتقى بمثلها لدى أحد من الشعراء العرب القدامى والمحدثين · ومن أمثلة ذلك تلك الصور الثلاث المتجاورة فى مقطع واحد نفس القصيدة·

كان ثمة كف رمادية ،
تتدلى من السقف
حاملة قمراً ميتا
وطيور من النار تنقر لؤلؤة الليل
كان قلبى آجرة من دم ،
ثقبوها فسالت نجوما مطرجة
عبر أقنية الليل

من يمكنه أن يتصور - فضلا عن أن يرسم - كفا رمادية تتدلى من السقف ، وهى تحمل قمراً ميتا ؟ أو طيوراً من النار تنقر لؤلؤة الليل ؟ وأى أثر موحش تحدثه الصورة فى نفس المتلقى الذى يهيئه الفيتورى لكى يقترب من حالة قلبه ، الذى تحول هو الآخر إلى "أجرة من دم ثقبوها .. فسالت نجوماً مضرجة عبر أقنية الليل" !! إن المشهد بأكمله أقرب مايكون إلى مشهد فيلم رعب من أفلام الخيال العلمى، ولكنه مرسوم بدقة ، ومكتوب بكل عناية .

والنقطة المهمة التى أود أن الفت لها الانتباه عن الفيتورى أن التكنيك الفنى لديه لايهدف إلى تقديم هياكل

خاليه من الروح ، وإنما يتميز بأنه موظــف لنقــل شــحنة شعورية جارفة ، تستمد ينابيعها من روح الشاعر التى هى - فى نفس الوقت - روح الجماهير ٠٠ لذلك فـــإن الصـــورة الفيتورية قد تصدم ، وقد تفاجئ ، ولكنها لايلبث أن تصبـــح مألوفة لدى المتلقى ، بل أثيرة لديه ٠٠

وقد يبدو أن الفيتورى ، صاحب تلك الصورة الشعرية العنيفة ، لايستطيع إلا أن يكون مفاجئاً وحاداً على الـــدوام ، ولكننا نجده فى بعض الأحيان يعذب ويرق وتسرى صـــوره مثل النسيم ٠ يقول فى قصيدته (ليس فى الياســـمنية غـــير البكاء) :

نهَر فاغتسل
يا أيها المغتسل
آية العاشق الفرد أن يمتثل
ولقد يصل الماء ، أو لايصل
والمدى نجمة فى المدى ترتحل
فاسقهم منك فى روحهم تشتعل
وامش تحت حوائطهم ٠٠ تكتمل

وإذا كان الشاعر العربى القديم قد استطاع أن يركز بعض تجاربه فى أبيات مفردة من الشعر ، وهو ماتميز به مثلاً فى العصر الجاهلى طرفة بن العبد ، والمتنبى فى العصر العباسى ، وشوقى فى العصر الحديث ٠٠ فإن الفيتورى قد فعل نفس الشئ ، ولكنه لم يرض أن يسير على خطى السابقين ، فركز التجربة فى مقطع شعرى ٠ نقرأ له فى قصيدة (ملك او كتابة) :

سألونى

وها أنا أشهد

أن الزمان عجيب

وأعجبه أن هذى الجموع

تغنى وترقص فى قفص من حديد

وفى قصيدة (حريق فى رداء الأميرة) :

الأرض تعرف أبناءها

كلما ارتجفوا راجعين

ولقد يستطيل عليها الغزاة ،

ولكنها تتقيؤهم ٠٠ بعد حين !

وفى قصيدة (من أحرق قلب الفستقة) !

أعرف يامولاى أن بطلا منتصرا

مثلك

لايسمع إلا صوت بطشه

ولايبصر إلا وجه عرشه

ووجه نعشه

ولايعبد كائنا سواه

وفى قصيدة (بيروت) :

بيروت تشهق بالقذائف والقنابل

بيروت تحلم بالخرائب والزلازل

فهناك مجلود وجلاد

ومقتول وقاتل

وبنادق خانت ،

وأخرى عن مواقفها تقاتل !

وفى قصيدة (المقتول يدفع الثمن) :

حين يسود الرعب والوهن

ويبطئ الشهود والقضاة والزمن

ينفلت القاتل ،

والمقتول يدفع الثمن

وفى قصيدة (ياقوت العرش) :

دنيا لايملكها من يملكها

أغنى أهليها سادتها الفقراء

الخاسر من لم يأخذ منها

ماتعطيه على استحياء

والغافل من ظن الأشياء ٠٠

هى الأشياء !

تبقى مسألة أخيرة ، وهى التى تتعلق بمقدرة الفيتـــورى على كتابة القصيدة الخاصة به فى أى من القالبين : العمودى والحر ٠٠ وهو عندما يكتب القصيدة العمودية يبدو متمكنـــا غاية التمكن ، ومسيطراً على أدوات هذا النمط الصعــــب ، والذى يعمل هو نفسه على أن يزيده صعوبة ، مـــن خـــلال اختياره للبحور الصعبة ، والقوافـــى غـــير المطروقـــة ٠٠ ويستحق الفيتورى مزيداً من الدراسات حول ما أحدثه مـــــن تطوير فى القصيدة العمودية ، فقد جعلها قابلة لحمل مختلف

المضامين الحديثة دون أدنى نشاز ٠٠ كما أنه خرج بـــها - فى نفس الوقت - من الرتابة ، والجمود ، والفراغ الفكـــرى والخواء الشعورى الذى أسقطها فيه شعراء اليـــوم ، الذيـــن يدعون - زيفاً - أنهم حماة الشكل العمودى ، على الرغم من أنهم أكبر المسيئين إليه !

ويمكن للقارئ أن يتأمل كلا من قصائده :

(المتنبى) ، ومطلعها :

يمـــر غيـــرك فيهـــا وهـــو محتضـــر
لابـــرق يخطــف عينيـــــه ولامطـــــر

(مقدمة الزيارة) ، ومطلعها :

وقفـــت والشمـــس ملقاة علـــى كتفى
وبيـــرق الشعـــر فى عينىّ غير خفـــى

(لا ، ليس لبنان) ومطلعها :

لا ، لاتقل دخلوا فى الموت أو رحلـــوا
هنـــاك مـــن أمـــر الأبطـــال فانتقلـــوا

ولعل هذا هو الدافع الذى جعلنى أعيد كتابة القصـــائد العمودية لدى الفيتورى فى النسق المعهود للقصيدة العربيـــة التقليدية ، مخالفا بذلك كتابة الفيتورى نفسه ، التى تضعـــها

فى شكل الشعر الحر ، حتى يتبين أكثر أن القصيدة العمودية لديه - رغم تأصلها فى الشكل التقليدى - تتميز بسمات بارزة من التطوير والتحديث ٠ وهذا أمر يحتاج إلى دراسات واسعة٠

أما الشعر الحر ، وهو – كما نعلم - منزلق خطير لمن يجيدون الوزن والقافية ، فقد استخدمه الفيتورى بحذر شديد٠ وهناك قلة فقط من الشعراء هم الذين تنبهوا لذلك ، منهم بدون شك : أحمد عبد المعطى حجازى وأمل ونقل ، فى حين اندفعت الأغلبية فى ثرثرة بدون ضوابط ، ومن ثم غامت لديهم الصور ، وتسطحت التجارب ، وانعدم الفن الجميل٠٠

يقول الفيتورى فى مطلع قصيدته (ملك أو كتابة) :

بيننا خائن يارفيق
أنا أو أنت ٠٠
فلنقترع قبل بدء الطريق :
ملك أو كتابة ؟

ويقول فى قصيدة (ليس فى الياسمينة غير البكاء) :

مثل أرملة العرس ،
أسدلت النحلة الذهبية أهدابها
وهوت مطراً ناعما
فى بكاء الغصون .
ليس فى الياسمينة غير البكاء
وفى بهو سيدة القلب نافورة ،
ومغن حزين !

وفى قصيدته (قمر للغناء) يقول :

مطر أخضر ،
وعيون مرصعة بالرؤى والأساطير
كانت تحاصرنى الذكريات ،
وباريس سابحة فى الفضاء السماوى
باريس تبنى كنائسها الذهبية ،
فوق جسوم محنطة فى التوابيت
باريس ليست مدينة .

إن الشعر الحر لدى الفيتورى ينبع تلقائيا من نموذج الشـعر العمودى ، ويطور الكثير من أدوات هذا النموذج وآلياته • كذلك فإنه يتميز بحرصه على موسيقى الوزن التى تستجيب لمضمون كل قصيدة على حدة • أما القوافى فإنها غير غائبة تماماً ، وهى تظهر بين الفينة والفينة لتحدث إيقاعـا متناسقاً ، يجعل من القصيدة قطعة موسيقية مميزة •

إننى لا أزعم دراسة شعر الفيتورى ، ولكننى فقط أنبه إلى ضرورة إجراء هذه الدراسة ، وعلى مستويات مختلفة ، حتى يتبين مدى ماحققه هذا الشاعر الكبير فى بناء القصيدة العربية •

* * *

رسالته الشعرية

منذ ديوانــــه الأول (أغـــانى إفريقيـــة ١٩٥٥) ، أدان الفيتورى بشدة استعباد الإنسان (الأبيض) لأخيـــه الإنســـان (الأسود) • والواقع أن إدانة الاستعباد فـــى شـــتى صـــوره ونماذجه كان وسوف يظل من أهم المبادئ التى كرّس لـــها الفيتورى رسالته الشعرية ، فلا تكاد تخلو قصيدة لديه مـــن التصريح أو الإشارة أو التضمين إلـــى بواعــث الاســتعباد البشرى ، ومظاهره ، وسوءاته على مختلف المســـتويات : استعباد الفرد للمجتمع ، واستعباد المجتمع للفرد ، واســتعباد المجتمع للمجتمع •

إن الإنسان فى جوهره خامة نقية يكاد يلمس بأجنحـــة قلبه قبة السماء ، ويقترب بتجرده وصدق نواياه من حضــوة الألوهية، ولكنه حين يدوس بطمعه وجشعه وجبروته تلــــك الماسة المتألقة فى أعماقة فيهشمها ، عندئـــذ يتحــول إلـــى وحــش كاسر يمزق بأنيابه وأظافرة كل من يقف فى طريقة ولاشك أن مظاهر العسف والاضطهاد والاســـتبداد ليســت

سوى وجوه كئيبة للنفس البشرية حيـــن تنفلــت نوازعــها، وتنحط مقاصدها، لقد حمل الفيتورى فــــى شــعره علـــى الطغاة والمستبدين من أولئك الحكام الذين كبلـــوا شـــعوبهم بالعسف ، وأخرسوا أصواتها بالخوف ، وقتلوا فيها كل تطلع إلى الحرية ، كما داسوا على أى اتجــــاه نحـــو الإحســـاس بالكرامة الإنسانية ، لذلك نراه يمجد بطولة الثائرين علـــــى هذا الظلام الجاثم ، ويشيد بمبادرات الأحرار الذين يرفضون الانصياع داخل أسوار ذلك السجن الكبير ،

فى رسالة الفيتورىالشعرية ، لايتوقف القـــارئ عـــن الإحساس الجارف بحق الإنسان - أيا كان جنسه أو لونـــه أو مستواه الاجتماعى - فى الحرية والكرامة ، والمساواة ، لذلك فإنه يدين - وبصوت عال - كل مظاهر الكبــت ، والإذلال ، والتفرقة العنصرية ، ولأن هذه الظواهر المؤسفة تبدو بحدة فى الدائرة الإفريقية ، ثم العربية فقد ركـــــز علـــى هـــاتين الدائرتين ، وإن كان أحيانا قد سجل بعض مظاهرها الحـــادة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى وجدها تعيش تناقضـــاً غريبا ، حيث تعجب بالمغنى الزنجــــى (بــول روبســون)

وتطرب على إيقاعـــات ألحانـــه ، ولكنـــها فـــى الأعمـــاق وبعنصرية متأصلة كارهة لزنجتيه ، رافضة لوجوده فيها !!

يقول الفيتورى :

جبهـــة العبد ، وفعـــل السيـــد وأنيـــن الأســـود المضطهـــد
تلـــك مأساة قـــرون غبـــرت لم أعد أقبلهـــــا .. لم أعد

* *

كيـــف يستعـــبد أرضى أبيض كيـــف يستعبد أمس وغـــدى
أنـــا إنســـان ولـــى حريتـــى وهى أغلى ثروة من ولـــدى

ويستمر الفيتورى فى رفضه لكل ألـــــوان الاســـتبعاد الأبيض لأهل إفريقيا السود ، وتتمثل روعة رسالته الشعرية فى أنه لم يعد يتحدث عن المأساة فى شكل الحكى أو القـصّ بضمير الغائب ، بل إنه يواجه هذا الأبيض المستبد صارخـــا فيه :

ألئـــن وجهـــى أسود ، ولأن وجهك أبيض ، سميتنى عبــــدا
ووطئت إنسانيتى ، وحقرت روحانيتـــى ، وصنعـــت لى القيـــدا

* *

لا يا أخى ٠٠ إن التهاب مشاعرى هيهـات بعد اليـوم أن يهدا
إنى صحوت، صحوت من أمسى وذى فـأس تهد قبـوره هدّا

أما الدائرة العربية ، فهى التى سوف يحيط إطارهـا بعالم الفيتورى ، وفيها سوف نجده ثائراً على روح التقليـد الغبى ، والأنماط القديمة البالية ، راقصاً كالرعد مـع كـل ثورة تزيح عن شعب عربى ماكـان يثقلـه مـن عسـف واضطهاد ٠٠

فى قصيدته "الهياكل" ، يقول :

٠٠ وكانت الهياكل العتيقة المقوسة
ذات العيون الغائرات الشرسه
والضحكات التعسه
واقفة فى الريح
تلقى على التاريخ ظلها القبيح
٠٠
أحرى بك المعول والحفار والضريح
موتى ٠٠ اخجلى

تساقطى .. تحللى
إنك عارى ،
عار أرضى ،
أمتى ، مستقبلى
عار على من يحرث الحقل ، ومن يحصده
أن يضفر السوط لمن يجلده
عار على من يحفر اللحد ، ومن يلحده
أن يقتنى طاغية يعبده

ويقول فى قصيدته (إلى بول ربسون) :

كانوا يخفون خناجرهم فى أوجههم حين تغنى
وتشيب سوالفهم حقدا
وتشيح نيويورك مهينة
فغناؤك يجلدها
يستعبدها
ويجردها
من زينتها ، فتلوح بلا زينة

لكن رسالة الفيتورى الشعرية تتضمن - إلى جانب إدانة الاستعباد البشرى - محاور أخرى ، يأتى فى مقدمتها استنهاض الأمة العربية لكى تخرج من حالة الخمول والجمود والتخلف إلى مرحلة الانطلاق الحضارى ، الذى تستحقه بالفعل . ومن المؤكد أن الشاعر لايصدر هنا إلا عن إيمان قوى بقدرات هذه الأمة وإمكانياتها الكامنة فى روح شعوبها ..

أمة يثقب من رايتها كلما امتدت على الأفق انقسام
بعثروها ، مزقوا وحدتها فهى سودان ومصر وشآم
ونسوا أن النواقيس غداً تتنادى ، والموازين تقام

والفيتورى رغم مرارة تشاؤمة ورغم الكآبة السوداء التى تغلف - فى كثير من الأحيان - رؤيته للواقع ، مؤمن متفاؤل بمستقبل الأمة :

أعرف أن الغد ليس غدهم ،
وأنهم سيهزمون
فإن من لم يكبروا .. سيكبرون
وإن من لم يعرفوا .. سيعرفون

أما مايعبر عن تشاؤمه ، فيمكن الوقوف عليه من تلك الأبيات التى اختار بعضها كإهداء لديوانه (أغصان الليل عليك) وهى من قصيدة فى نفس الديوان بعنوان (فى شتاء قارس) :

ياعاصفا حيث تخطو لشد ما أنت غاضب
تكاد تشهق رعبا وأنت آت وذاهب
فى مدن من نحاس وأمة من عجائب
تأنقت فى الخطايا وازينت فى الخرائب
موجوعة ، ليس تدرى السياط من أى جانب
تنام فوق سرير الذهول ، والحلم غائب

ومن المؤكد أن شدة الإيمان بقضية مايدفع صاحبه إلى شدة الغضب نتيجة عدم حلها ، أو التهاون فى هذا الحل ، وهذا مايفسر الحدة الواضحة فى تعنيفة البالغ للأمة العربية.

لكننا إذا انتقلنا من القضايا القومية فى الرسالة الشعرية لدى الفيتورى ، وجدنا هناك محورين آخرين ، هما الحب

والتصوف ·· أما الحب فقد بدأ فى ذهنه مرتبطاً بمعـــــانى الطهر والعفاف ، ومن ثم فإن المرأة تتمثل هنا تارة كأفعى ، وتارة غارقة فى الوحل ·· ويبدو لى أن هذه المرحلة هـــى التى أحب الشاعر فيها المرأة من بعيد ·· لكنه عندما اقترب منها ، وتعامل معها ، أدرك أنها مخلـــوق حســـاس للغايـــة تتطلب من الرجل رعاية خاصة بل إن جمالها لايزدهـــر إلا إذا أحيط بحب الرجل··

وأما التصوف ، فله مع الفيتورى تاريخ طويل ، يبـــدأ من بيته الذى نشأ فيه ، ومن والده شـــيخ إحـــدى الطـــرق الصوفية ، ثم من قراءات ومشاهدات وتقلبات مزاجية مـــر بها الفيتورى طوال عمره ، ساعدت عليها كثره تقلبه فـــى البلاد ·· فقد عاش الفيتورى فى معظم العواصم العربيـــة وكذلك الأوربية ، الأمر الذى جعله يعرف ألـــم الغربـــة · ودائما ما يسأل الغريب نفسه سؤالين هامين :
لماذا أنا ؟ وماذا بعد ؟ ·· وكل منهما يؤدى به إلى مزيد من الرجوع لذاته ، والغوص فيها بحثاً عـــن واحة تظلـــه ، أو نبع ماء يطفئ عطشه ··

لكننا لاينبغى أن نفهم التصوف فى شعر الفيتورى على أنه ذلك التصوف الجاهل المذهول ، وإنما هو تصوف ثورى ومثقف ٠٠ وعلاقة جدلية بين مريد جرئ الأسئلة ، وشـــيخ حاضر الإجابة ٠٠ كلاهما يحتقر مافى الدنيا مـــن مظـــاهر خادعة وفاسدة ، ولكنه مؤمن دائما بإمكانية بلوغ الأفضل٠٠

كذلك فإن النزعة الصوفية لدى الفيتـــورى ليســـــت نزعة فردية ، هدفها خلاص روحه فقط ، وإنما المقصــــود خلاص روح الأمة كلها ٠ ومن المؤكد أنـــه - بعــد طـــول التطواف ورؤية العديد مـــن المنـــاضلين المزيفيـــن - أدرك ضرورة النقاء الروحى ، والأخلاقى الذى لابد منه لتطـــهير الأرض العربية ، وتنقية الهواء الذى يمر عليها ٠

الفيتورى وشعلة الشعر

مازال الفيتورى مستعصياً على التصنيف • فلايمكن وصفه بأنه شاعر سودانى أو مصرى أو ليبى •• وعلى الرغم من أنه غنى فى مطلع حياته لإفريقيا ، وأعاد للإنسان الأسود كرامته •• إلا أننا أيضا لايمكن أن نطلق عليه شاعراً إفريقيا ، لأنه كتب بعد ذلك فى القضايا العربية ، واستغرقه الواقع العربى إلى حد النخاع •• وسوف نلتقى لديه أيضا بالعديد من القصائد ذات الطابع الإنسانى ، الذى يرتفع عن التقسيمات الجغرافية والإقليمية •• لذلك فإن السؤال يظل قائماً :

من هو الفيتورى الشاعر ؟

ومع أن الشاعر بيننا موجود ، إلا أنه شديد التواضع حين يتحدث عن نفسه ، مقتر للغاية حين يحاول أحد استخراج شئ منه •• صحيح أنه قد يُفضى ببعض الذكريات ، ولكنه مقلّ للغاية فى الإدلاء بأيه آراء أو أحكام، وخاصة فيما يتعلق بفن الشعر • والواقع أن هذه السمة توجد

فى كثير من الأدباء العالميين ٠٠ فهم يكتبون ثـم يـتركون للناس ماكتبوه لكى يفهموا منه مايريدون ٠٠ نفـس الشـئ ينطبق على نجيب محفوظ ومن قبله أحمد شوقى فى مصر ، والأخطل الصغير فى لبنان ، وإيليا أبو ماضى فى المهجر ، وعبد الله البردونى فى اليمن ٠٠ وفى المقابل مـن هـؤلاء يقف الكثير من الأدباء الذين يكثرون مـن الحديـث عـن أنفسهم، ولايترددون فى خوض معركة من أجل الدفاع عـن عمل أدبى لهم ٠ ومن أبرز هؤلاء يوسف إدريس فى مصر، ونزار قبانى فى سوريا ٠

يقول الفيتورى فى قصيدته (قارع الطبول) :

رائعة هموم عينيك الصغيرتين
حين تسألان من يكون ؟
ذلك الشاعر ٠٠ من يكون
ذلك المغنى الهمجى
ذلك المهرج الحزين
ذلك الذى يصبغه الجلال والذهول

كلما انحنى على جراحه

وراح يقرع الطبول

. .

ها أنا ذا أقول :

صوتى صوت زمنى

وجهى وجه قدرى

فلا عجب

ولدت فوق عتبات الصمت والغضب

أنا تمرد التعب

أنا تجسد الذهول

ماذا يمثل الشعر للفيتورى ؟

الاجابة هنا أسهل ٠ ولايعنى ذلك أننا يمكن أن نعرفها من الشاعر ، وإنما نقف عليها من خلال شعره ٠ والواقع أن الذى يتابع أعمال الفيتورى منذ بدأت حتى اليوم يمكـــن أن يتبين فيها مراحل متتابعة ، كانت تغلب على كل مرحلة منها سمة عامة مثل الإفريقية ، أو العروبة ، أو إدانـــه الواقـــع العربى واستنهاض الشعوب لتحقيق كرامتـــها ، أو الاتجـــاه

الصوفى ٠٠ الخ ، لكن الأمر الذى يظـــل ثابتـــا ومســـتمراً ومؤكداً خلال هذه المراحل جميعا هو عكوفه على جـــذورة الشعر العالقة بروحة وسعادته التى لاتخـــذ باشـــتعالها فـــى أعماقه بل إنه يظل ينفخ فيها حتى تبقـــى متوهجة٠٠ حتـــى لو احترق هو نفسه بلهيبها ٠

يقول الفيتورى فى قصيدة (النهر الظامئ) :

ياخالق الإنسان من طينة
وخالق الفنان من طينة
عذبتنى بالفن
عذبتنى بهذه النار السماويه
لسوف ألقاك غداً صارخاً
بكل مافى من اللوعة
لم تشقنى دمامتى فى الورى
لم تشقنى إلاحساسيتى
أدعوك لاتشق بها كائنا بعدى
فهذه النار من قسمتى
رضيت أن أفنى على وهجها
لكى يعيش الفن فى مهجتى

لذلك فإنه عندما يفتقد تلك "النار السماوية" والتى يدرك جيداً أنها تفنيه ببطء ، تنقلب الدنيا فى وجهه إلى مخلوقـــات كئيبه ويقع هو فى حالة أقرب ماتكون للموت . يقول فـــــى قصيدة (اعترافات) :

الدرب كثعبان ينزلق خلال الغابه
كسحاب أسود يتراكض خلف الظلمه
لاخفق جناح .. لارعشة نجمه
لاشئ لكى أكتب كلمه !
..
لاشئ ويتجهم حزنى
ويغطينى عرق الموتى
وأحس بشئ مصلوب ،
ينزع أطرافى المصلوبه
ويغوص بصدرى كالسكين

إن الفيتورى من أولئك الشعراء القلائل الذين يؤمنـــون إيماناً عميقاً بأن الشعر من ضرورات الحياة ، بل انه قـــوة دافعة لها . ومنذ بدأ ينشد ، قال عن الشعراء :

نحن الذين نقطر الضوء بأجفان الرمم

وفى قصيدته (عن الشعر والكلمات الميتة) يقول :

وتقولون الكلمات تموت

ماذا يبقى للناس إذن

لو ماتت كلمات الشعراء ؟

لذلك فإنه عندما يخاطب صديقــــه القديــم (الأخطـــل الصغير) يقول له :

يا أمير الشعر أغضبها ٠٠ فقد تخصب الروح وتخضر العظام

وهو يعرف بالفطرة والخبرة معا أن كثيراً من الشــعر يخلو من الروح ، فكيف لمثل هذا الشعر أن يحيى أمــة ، أو يدفع لبناء مستقبل ٠ يقول فى قصيدة (ركعتان للعشق تحــت شمسها) :

فلا تسكب دماءك فى الحروف سدى ،

كما يتصنع الموتى من الشعراء

أما الشعراء الأحياء الذين احترمهم الفيتورى ، وكتــب عنهم فى شعره فهــم أمثال المتنبــى ، وابراهيــم نــاجى ،

وصالح الشرنوبى ، وأبو القاسم الشابى ، وأميـــن نخلـــه ، ومحيى الدين فارس ثم بصفة خاصة جدا: الأخطل الصغير .

لقد اعترف الفيتورى أكثر من مرة بأنه لم يمنح خلقـــة جميلة ولكنه لم يعترف بذلك إلا بعد أن تأكد من كنز الجمال المخبوء فى روحه ، والذى يشعر به كل قـــارئ لـــه مـــن المحيط إلى الخليج . يقول :

فقيــر أجل .. ودميم دميــم   بلــون الشتــاء ، بلون الغيوم
يسير فتسخــر منـــه الوجوه   وتسخر حتـــى وجـــوه الهمـــوم
فيحمـــل آلامه فـــى جمـــــود   ويحضن أحزانـــه فى وجـــــوم
ولكنـــــه أبـــداً حالـــــم   وفـــى قلبـــه يقظـــات النجـــوم

وفى قصيدة (بقدر ماتسع السماء) يتحدث الفيتورى عن الشعر المتهرّئ ، شعر الخمول والجمود والتخلف ، فيقول :

لغة أخرى غير الخزف الشرقى
السائل فى الكلمات
وموسيقى الأشعارْ
لغة غير الماضى الأنقاض
وغير الأقبية المتراكمة الأحجار

أما الشعر الذى يريده ، فهو عبارة عن لغـــة قويـــة ، فاعله ، مندفعة :

لغة تمحو ، تتفاقم ، توغل ،
تورق ليل نهارْ
لغة توغل فى الله ،
مباغتة ، متفجرة الأسرارْ
لغة غير القبب المنقوشة ،
والمدن الجوعى ،
المكسوة بالدم والأزهار
لغة لاتزحف كالديدان ،
ولاتتناسل كالغربان
على قمم الأشجارْ

إن الشعر لدى الفيتورى عـــالم قـــائم بذاتـــه ، وهـــو متكامل، لكن تكامله لايتحقق إلا عندما يلتحـــم مـــع عالمنـــا الواقعى الملئ بالقبح والتناقضات • لذلك فإنه عندما يذهـــب إلى لبنان ، ويجد مكانة الشعر ترتفع مثـــل قمـــم الجبـــال ، يقول :

أنت فى لبنان والشعــر لــه فــى ربى لبنان عرش ومقــام
شــاده الأخطل قصراً عاليــا يزلق الضوء عليه والغمــام
وتبــيت الشمس فى ذروته كلما داعــب عينيها المنــام

حتى يصل إلى ذروة مفهومه للشعر ، فيقول :
يا أمير الشعر ، والشعر رؤى نبويــات عليهــن لثــــام

وفى تقديرى أن الفيتورى يعد واحداً من حملـــة تلــك الرؤى ، وأنه واحد من الكاشفين عن لثامها .



الشاعر محمد الفيتورى



القصائد المختارة

أغانى إفريقيا

يا أخى فى الشرق، فى كل سكن ... يا أخى فى الأرض، فى كل وطن

أنا أدعوك ، فهل تعرفنى ... ياأخا ، أعرفه رغم المحن

إننى مزقت أكفان الدجى ... إننى هدمت جدران الوهن

لم أعد مقبرة تحكى البلى ... لم أعد ساقية تبكى الدمن

*

أنا حى خالد رغم الردى ... أنا حر رغم قضبان الزمن

فاستمع لى .. استمع لى إنما ... أذن الجيفة صماء الأذن

*

إن نكنْ سرنا على الشوك سنينا ... ولقينا من أذاه ما لقينا

إن نكن بتنا عراة جائعينا ... أو نكن عشنا حفاة بائسينا

إن تكن قد أوهت الفأس قوانا ... فوقفنا نتحدى الساقطينا

إن يكن سخرنا جلادنا ... فبنينا لأمانينا سجونا

ورفعناه على أعناقنا ... ولثمنا قدميه خاشعينا

وملأنا كأسه من دمنا ... فتساقانا جراحا وأنينا

وجعلنا حجر القصر رؤوسا ... ونقشناه جفونا وعيونا

فلقد ثرنا على أنفسنا ... ومحونا وصمة الذلة فينا

*

الملايين أفاقت من كراها ... ماتراها .. ملأ الأفق صداها

خرجت تبحث عن تاريخها ... بعد أن تاهت على الأرض وتاها

حملت أفؤسها وانحدرت ... من روابيها ، وأغوار قراها

فانظر الإصرار فى أعينها ... وصباح البعث يجتاح الجباها

ياأخى فى كل أرض عريت ... من ضياها ، وتغطت بدجاها

ياأخى فى كل أرض وجمت ... شفتاها ، واكفهرت مقلتاها

قم ، تحرر من توابيت الأسى ... لست أعجوبتها ، أو مومياها

انطلق فوق ضحاها ومساها ... يا أخى، قد أصبح الشعب إلها

*

جبهة العبد ٠٠ وفعل السيد ... وأنين الأسود المضطهد

تلك مأساة قرون غبرت ... لم أعد أقبلها ٠٠ لم أعد

كيف يستعبد أرضى أبيض ... كيف يستعبد أمسى وغدى

كيف يخبو عمرى فى سجنه ... وجدار السجن من صنع يدى

أنا زنجى ٠٠ وإفريقيتى ... لىَ ، لا للأجنبى المعتدى

أنا فلاح ٠٠ ولى أرض التى ... شربت تربتها من جسدى

أنا إنسان ٠٠ ولى حريتى ... وهى أغلى ثروة من ولدى

أنا حر مستقل البلد ... وسأبقى مستقل البلد

*

هاهنا ٠٠ واريت أجدادى هنا ... وهم اختاروا ثراها كفنا

وسأقضى أنا من بعد أبى ... وسيقضى ولدى من بعدنا

وستبقى أرض إفريقيا لنا ... فهى ما كانت لقوم غيرنا

نحـــن أهرقنـــا عليـــها دمنـــــا		ومزجنـــا بثراهـــا عظمنـــــــا
وشـــققناها بحـــاراً وربـــــــى		وزرعناهـــا ســـــيوفا وقنـــــا
وركزنـــا فوقـــها أعلامنـــــــا		وتحدينـــا عليـــها الزمنـــا ..
وســـنهديها إلـــــى أحفادنـــــا		وســـيحمون علاهـــا مثلنـــــــا
فاسلمـــى يا أرض إفريقيا لنا		إسلمـــى يا أرض إفريقيا لنـــا

* * *

البعث الإفريقى

إفريقيا ٠٠ إفريقيا استيقظـــى استيقظى من حلمــك الأســود
قد طالما نمت٠٠ ألم تســأمى ألــم تملــى قـــدم الســيد
قد طالما استلقيت تحت الدجـى مجهدة ٠٠ فى كوخك المجــهد
مصفرة الأشواق ٠٠ معتوهــة تبنـــى بكفيــها ظــلام الغـــد
جوعانـــة تمضـــغ أيامـــــها كحـــارس المقـــبرة المقعــــد
عريانة الماضى ٠٠ بلا عزة تتـــوج الآتـــى ، ولاســـؤدد

* *

إفريقيا ٠٠ أفريقيا استيقظـــى استيقظى مـــن ذاتــك المظلمة
كـــم دارت الأرض حواليك ٠٠ كم دارت شموس الفلك المضرمـــه
وشيـــد الناقـــم مـــا هدّمـــه وحقـــر العابـــد ما عظمــــه

وأنت لازلـــت كما أنـــت ٠٠ كالجمجمـــة الملقـــاة ٠٠ كالجمجمـــة
واعجبـــا ٠٠ ألـــم تفجـــر شرايينـــك سخرياتهـــم ٠٠ يا أمـــه

* *

إفريقيا ٠٠ افريقيا اســـتيقظى استيقظى من نفســـك القابعـة
أكـــل مـــاعندك أن تصبحـــى مزرعـــة للأرجـــل الزارعــه
أكـــل مـــاعندك أن تلعقـــى أحذيـــة المســـتعمر اللامعـــه
أكـــل مـــاعندك أن ترقـــدى خاملـــة ، خـــائرة ، خاضعــه
أكـــل مـــاعندك أن تضحكـــى هازئـــة بــــالقيم الرائعـــه
أكل ماعنـــدك أن تصـــدرى قوافل الرقيـــق ، ياضائعـــة !

إفريقيـا ، إفريقيـا النائيـــة
إنى أناديك ٠٠ ألــم تســمعى
إنى أناديك ٠٠ أنـــادى دمــى
إنى أنـــادى الأوجــه البالبــة
فويك إن لم تحضنى صرختــى
عاصفــة بالأبيــض المعتدى

ياوطنى ٠٠ يا أرض أجداديــة
صــراخ آلامــى ، وأحقاديــه
فيك ٠٠ أنادى أمتى العاريـــه
والأعين الراكــدة ٠٠ الكابيــة
زاحفة مـــن ظلمــة الهاويــه
عليــك ، يا إفريقيــا الغاليــه

•

لتنتفـضْ جثـــة تاريخنـــا
آن لـــهذا الأســود المـــنزوى
آن لـــه ان يتحــدى الـــورى
فلتنحــن الشــمس لــــهاماتنا
إنـــا سنكســـوها بأفراحنـــا
أجــل ٠٠ فإنا قــد أتى دورنا

ولينتصــبْ تمثــال أحقادنـــا
المتوارى عن عيـــون الســنا
آن لـــه أن يتحـــدى الفنـــا
ولتخشــع الأرض لأصواتنـــا
كمـــا كســـوناها بأحزاننـــا
إفريقيا ٠٠ إنـــا أتـــى دورنـــا

• • •

عاشق من إفريقيا

صناعتى الكلام
سيفى قلمى
وكل ثروتى شعور ونغم
ولست واحداً من أنبياء العصر
لست من فرسانه الذين يحملون رايات النضال
أو يخطّون مصائر الأمم
لكن لى هوى يكبر كلما أكبر
لم أمنحه مرة لملك متوج
ولم أمرغ وجنتيه فوق أعتاب صنم

* *

صناعتى الكلام
قد أجيد تارة ٠٠ وقد أخطئ تاره
لكننى منذ مشت عواصف الحنين فى دمى
ومنذ أزهرت براعم الكلام فى فمى
ومنذ ما انطلقت ضائعاً مشرداً
أطوى ليالى غربتى ٠٠
وأمتطى خيول سأمى

كنت عذابى ٠٠ أنت يا إفريقيا
وكنت غربتى التى أعيشها
وشئت أن أعيشها
وحينما غنيت ٠٠ غنيت لعينيك
ومست شفتى فى وله رموشها
حينئذ رأيت فيهما توهج الألم
رأيت فيهما العذاب والشموخ والشمم

* *

صناعتى الكلام
ربما أثقل صوتى الضعف والرهبة أحيانا
فعاد لى صداه باكياً حزين المقلتين
حتى ليبكينى صدى صوتى ٠٠
فأنحنى أمسح فوق شعره ٠٠ وأضغط اليدين
وأشرب الدموع من عينيه الطفلتين
ويثقل الكلام فى فمى
أحس أحياناً كأنما كلامى فى فمى
مثل جذوع الشجر القديم
ضاربات تحت أطباق الثرى
مثل معادن البحار الغائصات أبداً
مثل كنوز الأرض

ربما نبصرها بالفكر ..
قبلما نلمسها باليد
أو نحسها بالعين ..

* *

صناعتى الكلام
لا وسام .. ولا وشاح .. لا ذهب
لا راية تظلنى .. ولا لقب
فلتغفرى لى أننى أجئ فى نهار عيدك الكبير
أجئ والشمس على صدرك ماسة زرقاء تأتلقْ
صدرك يارائعة الجراح قبة الأفق
وعرشك الرياح ، والجبال ، والسحب
أجئ لاهث الأنفاس ، مصلوب العنق
روحى سحابة ، وجسدى شفق

* *

لا شئ فى يدى
لاشئ فى فمى
إلا بقايا مقطع قصيرْ
أعزفه فى خجل على الورقْ ..

أنا زنـــجى

قلهـا لاتجبـن ٠٠ قلهـا فـــى وجــــه البشريــــــــة
أنــا زنجــى ٠٠ وأبـــى زنجــى الجــد ٠٠ وأمى زنجيــه
أنــا أســود ٠٠ أســود لكنـــى حــر ٠٠ أمتلــك الحريــة
أرضى إفريقيه ٠٠ عاشت أرضـــى ٠٠ عاشــت إفريقيــه

*   *

أرضى ٠٠ والأبيــض دنسهــا   دنسها المحتــل العــادى
فلأمضِ شهيداً ٠٠ وليمضــوا   مثــلى شهــداء أولادى
فوراء الموت ٠٠ وراء الأرض ٠٠ تدوى صرخة أجدادى :
لستــم ببنينــا ٠٠ إنْ لــم تــذر الريــح رمــاد الجــلاد !

*   *

لستــم بينينــا ٠٠ إنْ لــم يجــل الغاصــب عنهــا مدحورا
إنْ لــم تخلــع أكفــان الظلمــة ٠٠ إن لــم تتفجر نورا ٠٠
إنْ لــم يرتفــع العلــم الأســود فــوق رباهــا ٠٠منصورا
إنْ لــم يحــن التاريــخ لكــم جبهتــه فرحــان فخــــورا

*   *

الفجـــر يـــدك جـــدار الظلمـــة ٠٠ فاسمـــع ألحـــان النصر
هاهـــى ذى الظلمـــة تداعـــى تساقـــط ٠٠ تهـــوى فى ذعر
هاهـــو ذا شعبـــى ينهض من إغماءتـــه ٠٠ عارى الصـــدر
هاهـــو ذا الطوفـــان الأســـود ٠٠ يعدو عبر السد الصخرى
هاهـــى ذى إفريقيـــا الكبرى ٠٠ تتألـــق فى ضـــوء الفجـــر

* * *

إلى بول روبسون

[المغنى الزنجى الأمريكى]

كانوا يخفون خناجرهم فى أوجههم حين تغنى
وتشيب سوالفهم حقدا
وتشيح نيويورك مهينة
فغناؤك يجلدها
يستعبدها
ويجردها
من زينتها ، فتلوح بلا زينة

* *

جثث الأحياء ، وأقبية الأموات
ورؤوس المهزومين الغضبى المحزونة
تتدحرج فى الطرقات
تتسلق أشجار الغابات
تسترجع حلم الأرض المطعونة
أرض المأساة

* *

ويحلق فوق الليل الثلجى الممتد
ليل نيويورك ٠٠ غناؤك
يا شاهد فجر الشعب الأسود
يا أروع من غنى للعالم ، أحزان العالم
يا شاعر أمريكا الفقراء
ومغنيها ،
الزنجى الضائع منا ، تحت تراب مبانيها
بحار السفن الغرقى حول موانيها
"بلياتشو" المقهى ذو الوجه المدهونْ
اللون القاتم ، فى لوحات الرسامين
أحجار مناجمها
ودخان مواسمها
لحم الإنسان الساخن ٠٠ والسكين

* *

– ماذا تعنى بالنسبة لى
– أنا أعرف ماذا تعنى أمريكا بالنسبة لك
الخنجر فى قلبك
فى روحك ٠٠ فى الداخل
وتغنى للقاتل
تستغفر من قتلك

ماذا تعنى بالنسبة لك ؟
أن ترفع كأس سقوطك مزهواً
فى صحة جلاديك
أن تبتر ثديى أمك ..
أن تلهو بعظام أبيك
أن تحيا فى ماضيك

* *

يابول روبسون
مات الطفل الزنجى ..
وماتت جدته العمياء
إلا كلمات ..
قالتها فى أذنيه ذات مساء
"يا أبنائى غنوا للشده
غنوا للشده
لا يخلع إنسان منكم جلده"

* * *

إلى وجه أبيض

ألئــن وجهــى أســود ، ولئــن وجهــك أبيــض ، سميتنى عبــدا
ووطئــت إنسانيتــى ، وحقــرت روحانيتــى ، فصنعــت لى قيــدا
وشربــت كرمى ظالما ، وأكلــت بقلى ناقما ، وتركــت لى الحقــدا

ولبست ما نسجت خيوط مغازلى وكســوتنى التنــــهيد والكــــد
وسكنت جنات الفراديس ، التى بيدى نحت صخورها الصلــدا
وأنا كم استلقيت فى كوخ الدجــى أتلفــح الظلمــات والـــــبردا
كالشاة ، أجتر الكآبة ، عـــاقد حولى دخــان تفــاهتى عقــدا
حتى إذا انطفأت مصابيح السمـــا وانساب نهــر الفجــر ممتــــدا
أيقظــت ماشيتــى الهزيلـــة ، وانطلقــت أقودهـــا لمراحهـــا قودا
فإذا سمنّ نعمت أنت بلحمهـــا ونبذت لى الامعــاء والجلــدا

*

لا يا أخى إن التهاب مشاعرى هيهات بعـــد اليــوم أن يــهدا
هيهات٠٠ لم أخلق عليها بومة تقتــات بـــالديدان ، أو قـــردا
أنا كائن ٠٠ أمى وأمك طينـــة والنـــور ليــس لأينـــا جــــدا
فإلام تحرمنى حقوقـــى بينمـــا تلقى السعادة أنـــت والرغــدا
والإم تستعلــى بأنفــك سيــدا وأنا أطأطـــئ هامتـــى عبــدا

*

إنى صحوت صحوت من أمســـى وذى فأسى تهد قبـــوره هــدا
سأكون ناراً ٠ فالحياة تريدنى نارا ٠ وأرقص فوقهـــا رعدا

فاخلع براقع كبريـــائك إننـــى	أســكنت جيفــة ذلتــى لحــدا
واضمم يديك إلى يدى نشدْ معا	صـــرح المحبــة بيننـــا شيدا

*

إنى أخوك فلا تعـــقّ أخوتـــى	فــتزيد بركـــــانيتى وقــــدا
إياك ، لاتبذر بذور عدواتـــــى	فتعود تحصد شوكها حصـــــدا
إياك لاتزرع حقولك عوسجـــاً	إنى زرعــت حقولـــىَ الوردا

* * *

رتوش على لوحة صومالية

مقديشو التى لبست دمها ..
مقديشو الوجوه الحزينة ..
لن تكون ، ولم تك من قبل
أول مركبة فى الجحيم
وآخر أرجوحة فى المطر
مقديشو التى شربت كأسها
مقديشو الرياح السجينة
أزهرت بذرة الموت فى أرضها
والتوى الجوع والقهر حول جذوع الشجر
أتراه عقوق البشر
أم تراه انتقام القدر
مقديشو على قبر تاريخها ..
أمة تنتحر !

* * *

هذا الشعب

[عن الشعب المصرى ، عندما تفجرت
ثورة ١٩٥٢ ، وطردت الملك ..]

مشى على الشـــوك أزمانـــا وأزمانا
وعانق الأرض جـــوعانـــا وعريانـــا
وخـــرّ تحـــت أنيـــن الفأس مقبـــرة
ودبّ خلـــف زوايا الكـــوخ جرذانـــــا
وذاب بيـــن سواقـــى الليـــل أغنيـــة
حزينة ، وذوى فـــى الدوح أغصانـــا
وعاش يسقى تراب الأرض من دمه
ويحصـــد الحقـــل أشواكـــا ونيرانـــا
حتـــى إذا قيـــل : ماتـــت آدميتـــــه
وهو الذى هوّن الدنيـــا ، وماهانـــــا
وقيل : لـــم تـــدع الآلام منـــه سوى
محنـــط ، يحمـــل الأيـــام أكفانـــــا
تحـــرك المارد العملاق فـــى دمـــه
وشب يزحـــم شريانـــا فشريانـــــــا

وحط من شرفات الموت صاعقـــة

وهب عاصفــة ، وانســاب طوفانـا

وأبصـــرت مقلـــة التاريـــخ آلهـــة

مخلوعـــة ، وطواغيتـــا ، وأوثانـــا

وطأطـــأ القـــدر الجبـــار هامتـــه

وخرّ فــوق ثــراه الحــر: إيمانـــــا

* *

آمنـــت بالشعـــب جوعانا وعريانا

آمنـــت بالشعـــب أسوانـــا وحيرانـــا

آمنت بالشعب، بالشعب الذى اشتعلت

زهـــوره فـــى يـــد "الجلاد" نيرانـــا

فهـــبّ ترقص رجلاه على جـــرف

هار .. وترتجـــف الكفـــان خسرانا

لم يغْنـــه أمســـه الباغى ، ولاغده

لما تفجـــر حقـــد الشعـــب بركانـــــا

ناداه : يا أيها المغرور قد وجبـــتْ

إرادة الشعـــب ، فاخلع تاجـــك الآنـــا

كفـــاك منّا ضراعـــات وإذعانـــا

وحسبنـــا منـــك تخريبـــاً وطغيانـــــا

فمن رآه ٠٠ وقد دفّــتْ سفينتـــــه

والشمس تطلى جدار الغــرب أحزانــا

رأى جنــــازة طاغــوت تشيعـــه

لعنــات أمتــه : شيبــا وشبانـــــا

رأى وجوهــا وأعناقــا وأذرعـــة

تكــاد تطفــر أحقــاداً وأضغانـــــا

رأى شعوبا إذا ديســت كرامتهــا

داســت عروشــا وأربابــا وتيجانــا

* * *

هـوانا

الهوى كل هـوى دون هوانـا   نحن من أشعلت الشمس يدانـا
والخطى مهما تداعت أو دنـت   فهى فى دورتها رجع خطانـا
وإذا التـاريخ أغنـى أمـة   بشـهيد فـألوف شـهدانا
وإذا الثـورة كـانت بطـلا   يطأ الموت ويحتـل الزمانـا
فلنـا فـى كـل جيـل بطل   مجده يحتضن المجد احتضانا

*

عـرب نحـن وهـذا دمنـا   يتحدى فى فلسـطين الـهوانا
عـرب رايتنـا وحدتنـا   حلقت صقرا وحطت فى سمانا
عرب لا أمضـغ الملـح ولا   أكسر السـيف بعينـيّ مـهانا
فأنا أعـرف أن الـروح مـن   روحنا نحن وأن الكون كانـا
وأنا أعرف أن الشـمس فـى   غيبة ، ثـم تعـود الدورانـا
والمخاضـات عـذاب ولقـد   تلد الأرحام وحـلا واحتقانـا
وأنـا أعـرف أنـى أمـة   هى عند الله أعلى صولجانـا
وأنـا أركـض فـى بسـتانها   خيلاء ، وأغنـى المـهرجانا
واسألوا التاريخ عنها ينتقـض   كل عـرق عربـى عنفوانـا

*

آه يـاذاكرة الأرض ، لكـم   ثقلـت أقدامـهم فـوق ثرانـا
والدجى كان بطيئا ، والأسـى   كـان مرّا رشفتـه شفتانـا

*   *   *

حصاد شعب

زحفت مواكبنا .. فقل لصحائف المجد استعدّى
هذا الذى غرسته كف الشعب ، فى اليوم الأشدّ
هذا حصاد القادرين على الإرادة والتحدى
ولقد قدرنا .. رغم بطش الأجنبى ، المستبد
ولقد هدمنا كل مافى الأمس من سجن وقيد
ولقد هزمنا كل مافى الأرض من ضعف وحقد
ولقد عقدنا فى طريق نضالنا .. إكليل ورد

* *

ياشعبنا .. وخطاك إعصار ، وصوتك صوت رعد
وبيارق الشهداء فوق ثراك من جدّ لجد
والشمس حانية عليك .. تطل فى تيه ووجد
ترنو إليك .. وأنت ثورة ثائرين لخير قصد
لحياة شعب ، وانتفاضة أمه ، وبناء مجد
ولتصبح الحرية الكبرى طريقك .. دون حد
ياملهم الشعراء أروع شعرهم يوم التحدى
ماذا أقدمه إليك .. وأنت كل الشعر عندى

* * *

القادم عند الفجر

[فى رحيل جمال عبد الناصر ..]

الآن . وأنت مسجى ..
أنت العاصفة ، الرؤيا ، التاريخ ، الأوسمة ،
الرايات ..
الآن ، وأنت تنام عميقاً تسكن فى جنبيك الثورة ،
ترتد الخطوات ..
تعود الخيل . مطاطئة من رحلتها ، مغرورقة
النظرات

الآن يقيم الموت سرادقه العالى ..
يتدفق كالأمطار على كل الساحات ..
الآن يكون الحزن عليك عظيماً .. والمأساة ..
تدوس على جثث الكلمات ..

* *

الآن وهم يبكون كأن ملايين الأرحام ..
ولدتك ..
وأنك عشت ملايين الأعوام ..

وكأن اسم البطل المنحوت على حجر الأهرام ..
اسمك
وكأن يد العربى الأول ، تشعل كل مآذن مكة ..
فى ليل الصحراء .. يدك
وكأنك كنت تقاتل تحت لواء محمد ..
فى مجد الإسلامْ
وليلة ان سقطت خيبر ..
قبلت جبين علىّ مبتسما ..
ورحلت غريباً تحملك الأيام ..
لتبصر ظل جوادك عبر موانى بحر الروم ..
وتبنى أهرامات أمية فوق جبال الشام ..

* *

وحين تجىء سحابة هولاكو التترى ،
وتزحف أذرعة التنين ..
وتنهار الأشياء جميعاً ..
تولد ثانية فى عصر صلاح الدين

* *

لكأنك - ملفوفاً بوشاح بلادك -
آت تواً من حطين ..
وكأنك قد أرهقت ، فنمت .. لتصحو بعد سنين ..

عبد الناصر ..

عبد الناصر ..

أيدى الفقراء على ناقوس الثورة .. والفقراء ..

غرباء ومظلومين ..

زحموا الباب العالى ، ومشوا فوق البسط الحمراء ..

وخديوى مصر يطاطئ هامته ، بعد الخيلاء ..

أو أنت عرابى الواقف ، تحت الراية ..

ذو الصوت الآمر ..

أو أنت الراية يا عبد الناصر ..

أو أنت الثورة ، والشعب الثائر ..

* *

دع لى بعض الزهرات أعلقهن على صدرك ..

دع لى بعض اللحظات ..

دع لى بعض الكلمات .. أقدمهن وفاء لك ..

* *

يا من يتضاءل مجد الموت لدى عتبات علاه ..

يا من يتجسد ، وهو شموخ ، فى قلب المأساه ..

يا عطر الأيام الحبلى بعذابات التكوين ..

يا من هو كل المهمومين ، وكل المظلومين ..

إنى أصغى لصدى خطواتك فى أرض فلسطين ..
أو أنت القادم عند الفجر إلى أرض فلسطين ..

* *

عليك سلام الله ..
عليك سلام الله ..

* * *

دمشق ·· وعاشق الأميرة الجبلية

·· ودمشق خيمة عاشق متغرب مثلى
تعيش الشمس تحت جفونه
وتضئ فى فمه
وراية قاسيون ، وسيفه العربى يبرق فى السماء
كأنه قمر اللهيب
كأنه سيف السماء

*　　*

دمشق ياحزنى
وأنت مدينة الفرح التى أغفو على أسوارها
وأغوص فى أحشائها أرضاً وأزمنة
وتصلبنى طوابير الطغاة على مداخلها
وينبت فى خرائب عصرهم وجهى وأيامى

*　　*

دمشق وأنت
لم تكن السماء عباءة منقوشة بالعاج والياقوت
كانت ثمة السحب القديمة
والطلاسم فى تعاريج المرافئ

والرجال السود يحتضرون حول الكعبة السوداء
والصور التى تنهار فوق قواعد الصلبان
ثم أضاء برقك فى الصخور
ففجرت ألوانها ، وامتدت الرؤيا على زمنى
وعينىّ المهاجرتين
إنى كلمة وحدى
وتلك حجارة التاريخ
والطير المحنط فى المعاطف
والبغايا العاقرات ، وغابة الشعراء

*　　*

هذى ليلة القمر الذى صلبوه
(كانوا يعبدون ضياءه
حتى إذا اصطف الرماة جميعهم
وانهل نبع جراحه صلبوه)
ساعتها استحال الموج أعمدة من الكبريت ..
– يا قمرى يموت الضوء فى شجر النهار
ويصبح البستان مزدهراً
وتزهر فيه ثانية .. وأولد فيك ..
هذه ليلة الطفل المقدس
(من سيذكره ويبكى) كل مرضعة سقته دماءها

خلعت مخالبها الأنيقة فجأة
ورمت بها فى مقلتيه
– أقول يا طفلى المقدس :
فوق تاج الحب ، تاج الشعر
أخلعه على دنياك مبتهلاً ٠٠
وأحلم أننى أرضيك ٠
واشتاقتك ايامى ٠٠
وما زالت دمشق تمد خيمتها
ووجه العاشق المأخوذ يسألها وتسأله ٠٠

* *

وعبر توهج الرؤيا
وعبر تدفق النظرات
قصر أميرة جبلية
تختار تحت الشمس مقعدها
وتسكب عطرها فى روح عاشقها
وتشعل شمعة فى القلب ،
ثم تعود حيث تنام فى عينيه كل مساء

* * *

لا ٠٠ ليس لبنان

لا ٠٠لاتقل دخلوا فى الموت أو رحلوا
هنـــاك من أمـــر الأبطـــال فانتقلـــوا
هنـــالك لبنان والأرض التى غضـــبت
لوقـــع أقدام من خانـــوك ياجــــــبل
هنالك إرثك فى الأرواح حيث سرت
أرواح من ملكوا الدنيا ومـــن شغلـــوا
هناك القدس ، ياقـــدس النبـــوه هــــا
قد كـــان ما كـــان ممـــا سطـــر الأزل
لكن سكان برج الصخـــر تـــدرك أن
البحـــر آت ٠٠ وأن المـــوج متصـــل

* *

سألت نفسى لمـــا جئـــت مختلطـــا
أكـــاد أخلـــق فـــــى ذاتـــى وأرتجـــل
ماضى مجـــد قديم النقـــش أحملـــــه
على ذراعى ميتـــا ، حيــــث أرتحـــل
ودارتى قطعـــــة من صخرة سقطت
من نجمة لم تـــزل فـــى الأفـــق تشتعل

وبى من الهم ما بالكــون مـــن عـــرب

ضاقت بهم صحــراء التيــه فاقتتلـــوا

تقاتل الجبلان : القهر والبشر المسكون

بالقهــر ، والدميتـــان : اليأس والأمــل

أنا الشقى بهم ، لم يبــق فـــى دمهــم

مـــن عزة النفــس إلا النفــط والعلــل

أنـــا الشقـــى بأحبابـــى ، وإن يبســـوا

كمـــثل ماتيبس الأيـــام أو أفلـــوا

ففيم أزهـــو اغترابـــا عنهـــم ، وأنـــا

كل الذين علوا فـــى الأرض أو سفلـــوا

وفيم أستنهـــض الأمـــوات معتـــذرا

مادام تاريـــخ أجـــدادى هـــو البطـــل

غفـــوت ، لم أغف ، مثل النهر سابحة

أسماكه ، وهـــو فـــى استغراقـــه ثمـــل

نأيت ، لم أنأ ، كان المـــوت يلبسنـــى

حيا ، ويلصـــق فـــى عمـــرى وينفصل

بكيت ، لم أبك ، مرت غيمـــة فسقت

غصنا من الـــورد ، يدنـــو ثم لايصـــل

رأيت، لم أر شيئا ، كان ثمة فى الآفاق

بغـــض ، لوجـــه البغـــض يقتتـــل ..

صرخت والدم فى راحات من شربـــوا
ولحـــم لبنان فـــى أشـــداق من أكلـــوا
لمن إذن نصـــب الموتـــى سواعدهـــم
فوق الجحيـــم ، وشبـــوا فيه ، واكتهلوا
وفيم أطلـــق طفـــل جسمـــه قمــــرا
من القذائـــف ، والتاريـــخ منذهـــل
وغاص فـــى وطـــن كالحلـــم تحرســـه
عـــدالة الله فـــوق الأرض والمثـــل

* *

لبنان .. لا ليس لبنـــان الذى صنعـــوا
بالأمس أو قسمـــوه الـــيوم واحتفلـــوا
لا ، ليـــس لبنان عـــرش الطائفـــى إذا
استقوى ، وألعوبـــة الحكـــام إن عدلوا
لا ، ليس لبنـــان تلك الملصقـــات على
الحيطان ، تنـــزو جراحـــات وتندمـــل
وليـــس لبنان هـــذا الليل يغسل عينيـــه
بذبـــح ضحايـــاه .. ويكتحـــل
لبنـــان رؤيـــا نبـــوات مقدســـة
تظـــل فى الكون مثل الكـــون يكتمـــل
فلتستبـــق وحـــدة الأديـــان خالقهـــا
إلى الوجود ، وتحصد زرعها الرســـل

أغنية جوفاء !

نحن العرب ..
أجدادنا كانوا ملوك العالم القديم
حيث الرؤى والشعر يسبحان
فى مجدها الأليم
حيث الخطى المستكبرات ..
لم تزل تبتعث الرعشة ..
فى أقبية الماضى العظيم

* *

نحن العرب ..
عنترة العبسى فوق صهوة الفرس
يصرخ فى الشمس فيعلو الاصفرار وجهها
وترجف الجبال رهبة ، وتجمد السحب
لأنه قهقه أو غضب
لأنه ثرثر أو خطب
لأنه النار التى
تفرخ ذرات الرماد والحطب !

* *

نحن العرب
المعجزات والنبيون وأرباب البيان
منا ..
ولولانا لهانت عبقرية الزمان
تاريخنا العملاق ما أروعه وأعجبة
ووحدنا فى الحلبه
وإن أردتم فاسألوا
الأحساب .. والألقاب ..
والأضرحة المذهبة !


الشاعر يراجع إحدى قصائده المنشورة

في شتاء قارس

قـاس غنـاؤك ، مغـــرورق العيـــون ، وصاخـــب
كنجمـة البحـــر ، مسكونـــة بمـــوج الطحالـــب
كمثـل ما اشتعلـت فـي الصخـــور شمـس المغـــارب
ياعاصفـا حيـث تخطـــو ، لشـد مـا أنـت غاضـــب
تكـاد تشهـــق رعبـــا ، وأنــــت آت وذاهـــــب
فـي مـــدن مـن نحـــاس وأمـــة مـن عجائـــب
تأنقـت فـي الخطايـا ، وازينـــت فــي الخرائـــب
موجوعـــة ليـــس تـــدرى السيـاط مـن أي جانـــب
تنـــام فـــوق سريـر الذهـــول ، والحلـم غائـــب

* *

قـــاس شتـــاؤك .. أرض رمليـــة وعواصــــف
وغصـــن نـــار وحيـــد ، كأنـــه المـوت واقـــف
يصغـــي وقـــد قوستـــه رؤى ملـــوك الطوائـــف
الخارجيـن مـــن الذكريـــات ، حمـــر المعاطـــف
كانـــوا هـــم الكـون قـــدرا ، ونعمـــة ، ومواقـف
ثـــم استحالـــوا توابيـــت فـي بطـون المتاحـــف
فكيـــف داس الـــذي داس قبـــره ، غيـــر راجـــف
وكيـــف خـان الـذي خـان أرضـه ، وهـو عـارف
وكيـف مست أيـادي الزنـاة ، طهـــر المصاحـــف

قـــاس ، وصوتــك والبــرق فــى عيــون النـــوارس
والشاخصـــون صفـــوف مـــن الدمـــى والعرائـــس
بلـــى ، وكـــان شتـــاء مـــر بطـــئ ، وقـــارس
وقلـــت يازمـــن النفـــط والرجـــال العوانـــس
عـــن الـــذى رقصـــوا حولـــه ، وهـــزوا القلانـــس
لا ليـــس عرســـا ، وإن كـــان ، فهـــو عرس الدسائـــس

* *

قـــاس ٠٠ وبغـــداد أقســـى ، بغـــداد نـــاء مداهـــا
تمتـــد فهـــى المجـــرات ، أعينـــا وجباهـــا
وتنتهـــى حيـــث يمشـــى التاريـــخ إثـــر خطاهـــا
فاكتـــب عـــن النـــار والثلـــج شمسهـــا وضحـــاها
اكتـــب ولامـــس رفـــات العظـــام مـــن شهـــداها
أنـــت المغنـــى الـــذى رأهمـــوا ورآهـــا
وشاهـــد العصـــر ، عريـــان فـــى حريـــق دماهـــا

* * *

صلوات للوطن

بعض ماسطر الـدم المبـذولُ والجراحات والصـراع الطويـلُ
أنـك الأفـق ، حيثمـا اتسـع الأفـق ، وأنت الجبـين والإكليـل
ويزول الذيـن تحجـب ضوء العصـر خوذاتهـم ، ولسـت تزول
ويخون الـذى يخـون ويبقـى عاليا وجهـك الجميـل الجليـل
ويغنيـك مـن يغنـى ويجثـو فى زواياك مجـده والأفـول
أيها الكـل ، والكمـال ، ومجـد الله ، والمعجـزات ، والمستحيـل
أتـرى عاشقيـك كيـف يذيـب الوجـد أجسادهـم وكيف تحـول
كيـف يستيقـظ الشهيـد من المـوت كـأنْ لم يمت ، ويحيا القتيل
كيف تندى أرض ، وتيبس أرض ويضحـى جيـل ، ويولد جيـل
هو ذا أنـت ، لا الطبـول التـى امتصتـك دقاتهـا ولا التطبيـل
لابخـور المصفقيـن ، ولايـأس المرابيـن فيـك ، والتدجيـل
لا الصليبـى قادمـاً مـن جديد فوق أسطولـه ولا الأسطـول
لا أغانـى المخنثيـن ولا رؤيـا يهوذ الأعمـى ، ولا إزريـل(١)
هو ذا أنـت .. أنت هـذا الـذى يجترح الصمـت سيفه المسلول
أنت هذا الـذى يجئ مـن الصحـراء ضـوء ، حين الظلام البديل
عربـى أكفانـه فـوق كتفيـه شهـود علـى اليقيـن عـدول

---

(١) اسرائيل ، وهى لهجة عربية قديمة .

داخـــلاً فـــى علاقـــة الموت بالموت ، كما تدخل الفصول الفصول
غاضبـــا تسطــــع الرؤى ملء عينيـــه ، ففـــى كل نظــــرة قنديـــــل

* *

ويمـــوج السكـــون عصفا ، ويســـرى فى عيون "المارينز" حلم ثقيل
لـــم يكن غير ظلـــه ، وهـــو يرتجـــل الأسوار ، يعوج عامداً ويميل
لـــم أبطـــأت ؟ قالت الأرض : كـــن كما لـــم تكـــن ، فأنت الرسول

* *

وتهـــاوت دعائـــم كن مـــن منـــــذ قليـــل هـــن الوجـــود البديـــل
يومهـــا ازدانت الأميـــرة بيـــروت بصمـــت ، وانســـاب دمـــع نبيل
وتمنـــى لبنـــان لـــو لـــم يبـــدد إرثه الطائفـــى والمخبـــــول
فالنبـــى الشهيـــــد طفـــــــل جنـــوبـــى بآلام شعبـــــه مجبـــــول
والنبـــى الشهيـــد أغفـــى ، وفـــى كلتـــا يديـــه القـــرآن والإنجيـــل

* *

يومهـــا غطـــت النعـــوش سمـــاوات أميركـــا ، وغام فيها الذهول
فالذى ضـــمت النعـــوش هـــو المحتـــل فى كبريائـــه ، والعميـــل

* *

يومهــــا قال قائـــــل : يافلسطيـــن قتلنـــا ، والصامـــدون قليـــل
غيـــر أن الأطفـــال تولـــد فـــى كـــل صبـــاح ، وقهرنـــا مستحيل

* * *

عيون المدن الصفراء

تحت هجير فاقع الألوان
عشنا عصرنا - نحن مرايا العصر
عشنا خطاة ومرائين ، ومضطرين
حتى اختلطت أمواجه فينا
وغطتنا غيوم المدن الصفراء
هل كنا سقوفاً من زجاج زخرفتها الشمس
هل كنا انهيارات بروق ، فى كهوف الليل ؟
أم صقوراً ، نفضت ذات شتاء ريشها الوحشى
من كان هنا قبلاً ، وأصغى ، ورأى ؟
من جاء حيث لم نجئ قط
ومن أرخى ستائر الشموع خلفه
وأطفأ
من شق فى قلب الفضاء فجوة
ثم مشى داخلها واختبأ
ومن تدنى ودنا
ومن تناءى ونأى !

* * *

المماليك

بين ماتنسجة عيناك فى الغيب
وبين الكلمة ..
طائر فوق سماء من مناقير ..
وشمس هرمة
أيها الموغل ؟
ماذا بعد إيغالك
فى هذى العصور المظلمة
هو ذا زنبقك الشتوى
والعتمة فى المرآة
والوحشة فى رحلتك المنهزمة
هو ذا ظلك ..
برق همجى من أغانيك ..
ولكن المماليك بقوا فوق خيول الأنظمة
لم يزل حلمك كثبانا من الرمل
ومازال الذين اغتصبوا الإنسان
يغتالون باسم الفرح الآتى دمه
أيها الموغل ؟
مازالت تغطى ساحة التاريخ
أقواس العيون الشرهات النهمة !!

معيتيقه وقاتلوها

[اسمها معيتيقه ·· مجرد راعية
صغيرة ، لا علاقة لها ، بكل ما يحدث
هناك · هكذا كانت ··
وذات يوم قبل عام ١٩٦٩ ،
خرجت بأغنامها ، على مقربة من
القاعدة الامريكية ، غير أنها لم تعد
قط · فقد مزقت جسدها الصغير ،
قنابل قوات الاحتلال التى كانت
تقوم بإحدى مناوراتها الحربيه ··
معيتيقه لم تكن لها
قضية ··
إنها هى القضيه !]

-١-

معيتيقه
أأنت هى التى اشتعلت
ضفائر شعرها فى الحلم ··

تحت صواعق الخيل الغريبة ..
يامعيتيقه !
أكانت نفس أسوار الخرائب ؟
والمناقير الطويلة ..
والطواحين البدائية ؟
وكان النهر ، نهر الحزن ..
تغتسل القوافل فيه ..
ثم تدور أقمارا محطمة ..
وأشجارا نحاسيه ..
وكان السهل أخضر يا معيتيقه
وكنت بريئة العينين والشفتين ..
.. شوق النهر فى عينى معيتيقه
وعشب السهل فى شفتى معيتيقه ..
– ستغدو نخلة ذهبية
فى موسم الأمطار
وترقص بين أجفان العذارى
زهرة من نار
وسوف تغار
كل جميلة الساقين
من ساقى معيتيقه !

-٢-

وكان السهل أخضر
والغيوم الخضر ، تحلم أن طفل الفجر
يرقد فى معاطفها الأنيقة
والطيور الشاخصات من العرائش
تشرئب ، وتنقر الأضواء
ما أبهى معيتيقه !
مرصعة بضحكتها الطفوليه
وما أحلى معيتيقه !
تعلق شالها القمحى
فوق نوافذ الأشجار
ثم تطير فى آفاق رحلتها الربيعيه

-٣-

وجاء نهار
وجاءوا ينصبون خيامهم
فى السهل
فارتعشت معيتيقه
قليلا ٠٠ ثم أغضت

ثم لم تغضب ..

فإن الأرض أرض الله

وقالت للشويهات التى أبدت

تعجبها ..

– هنالك خلف تلك التلة

الغربية الجرداء

مرعى معشب آخر

– لماذا يا معيتيقه

يجئ القادمون ، وينصبون خيامهم ..

فى سهلنا ، ونهد خيمتنا ..

ونرحل

كلما جاءوا ..

– لأن العشب عشب الله

ونوغل فى المجاعات الجديدة

كلما ارتفعت مشاعلهم ..

– لماذا يا معيتيقه ؟

– لأن الفعل فعل الله

– وإن عادوا إلينا مرة أخرى ..

أنرحل يا معيتيقه ؟

– سترتحل النجوم وراءنا
وتظل تمطرنا سماء الله

-٤-

وكان السهل أخضر
والسماء هى السماء
وكنت فاتحة اليدين
– تجاوزى ما شئت ..
لن تتجاوزى فرح السنابل
واحلمى بالشمس ..
راقدة على سرر الرمال البيض ..
والإعصار فاجعة تقهقه ..
فوق أطلال المدائن والسواحل
وكان نهار
والأحجار
وأعشاب البحار ، ومركبات
الرعد والأمطار
وغاصت شعلة من نار
فى رئتى معيتيقه

- لماذا يا معيتيقه !

حلمت بأن قمحك بعثرته الريح ..

ثم ركضت خلف القمح باكية ..

وخلف الريح

ثم سقطت ..

فاجتاحتك جلجلة الطواحين

- لماذا يا معيتيقه !

حلمت بأن أرجل خيلهم ،

خطفتك ..

واغتصبتك فى الطين !

- لماذا يا معيتيقه !

حلمت بأن قبعة الغراب

تمددت ، وغدت سموات

وآلهة

تدوس على المساكين !

- معيتيقه

لقد زحفت قنابلهم ..

ودباباتهم ، وجيوشهم

يوماً عليك ..

وكنت فاتحة اليدين ..

وحينما دفنوك تحت ركامهم

وجدوك نائمة ..

وثمة وردة حمراء

نابعة من الشفتين !

*　　*　　*

أوجـــالان

[نشرت بجريدة الأهرام]

أبداً لم يكن شامخاً ، وعظيم الرؤى
مثلما هو فى عرسه الآن
أزهار ثلج على قمة المنحنى
وقناديل من ذهب تتوهج فى ظله
ورفوف طيور مهاجرة
تتداخل عبر ثقوب السماوات
أو تتعانق فى مقلتيه
ونهر من الشهقات الحزينة
يلبس أمواجه فجأة
ويحط على كتفيه المعذبتين
"تحط خيول المغول قديماً على كتفى أوجلان"
الوحيد وهنالك
فى حيث تنتفض الروح زاعقة
فوق أضرحة الشهداء

والضعف الذى قتل الضعف والذل
فى شهوة الابتلاء
الحزين المقدس فى صلوات تمرده
المتفرد فى حالتيه
شموخ الإرادة فى الناس والانتماء

• •

أوجلان
أيها الحارس الجبلى ، الذى انتزع الشمس من كهفها
ذات ليل
وراح يدحرجها خلفه
كرة ضخمة من دخانْ
هو ذا مجد مثلك
فى صنع مثلك
فى مثل هذا الزمان
هو ذا قدر الحق
ما بقيت راية العدل ساقطة
والجريمة صاحبة الصولجانْ
هى ذى آية العصر
ما بقى الحاكم المتألة فى عمره السرمدى

تشيخ الملايين تحت عباءته
وفخامته خالد دائم العنفوان

* *

أوجاالان
وهم ينفخون مزاميرهم فرحا
ويدقون أصفادهم ومساميرهم فى يديك
وجيش من السامرين والقرمطيين
والعملاء المرابين
يرنو إليك
سلام عليك
سلام الشعوب عليك
سلام الخلود عليك
سلام الله عليك !

* * *

ايرما الطفلة والجنرالات !

-١-

فرسان الرايات الصفراء

المسكونون بصوت الريح

يدقون الأجراس

ويحتفلون بعيد النصر ، على إيرما المسكينة

-٢-

كانت إيرما شتلة ورد فى شرفات البوسنة

تسبح فى عسل السنوات الخمس

وتغفو ساذجة العينين ، ملونة الأحلام ،

وذات ضياء

ذات ظلام

جاء الجنرالات طواويس الدول العظمى المنهارة

واغتالوا إيرما ، واختالوا فوق عظام مدينتها

-٣-

هل حقا عاد الماضى

يصرخ فى روح التاريخ ؟

وهل صنعت إيرما المسكينة مجد الجنرالات ؟

* * *

المتنبـــى

يمــر غيــرك فيهــا وهــو محتضــر

لابــرق يخطــف عينيــه ولامطــــر

وأنت .. لا أسأل التاريـــخ عن هــرم

فى ظــله قمــــم التاريــخ تنتظـــــر

عن عاشق فى الذرى ، لم تكتمل أبــداً

إلا علــى صــــدره الآيــات والســور

عن الــذى كان عصــــراً شامخـــا ويدا

تشد عصــــراً إليهــا وهــــو ينحــدر

يمــر غيــرك بعض العابريـــن علـــى

بطونهــم يثقلــون الأرض إن عبروا

كمثــل من أبصـــرت عيناك ثم نـــأت

عيناك عنهم فــلا غابــوا ولاحضروا

وبعضهم أنت تــدرى أن شعــرك لـــو

لم يلــق ضـــوءاً علـــى أيامهم عبروا

كانـــوا ملوكـــا علـــى أرض ممـــزقة

يجـــوع فـــوق ثراها النبــت والــبشر

كانـــوا ملوكـــا مماليكـــا وأعظمهـــــم

تحت السماوات من فى ظلك استتـــروا

ورحـــت تنفـــخ فيهم منـــك ترفعهــــم
فيسقـــط البعـــض أوتبنــــى فينكـــــسر
أردت تخلـــق أبطـــالاً تعيــــد بهــــم
عصـــر النبـــوة والرؤيـــا فمـــا قـــدروا
هتفـــت ياعمـــر : مكتـــوب لـــك العُمُر
وليـــس ينقـــص فيـــك الجهـــد والسهـــر
وإنما تنقـــص الأعمـــار فـــى وطـــــن
يغتالــــه القهـــر أو يغتالـــه الخطــــر
وقلــــت والشاهدان الليـــل والسفـــــر
وشعلـــة فـــى مـــدار الكـــون تستعــــر
هذى الطيور التـــى احمـــرت مخالبهـــا
فوق الصخـــور لنا ٠٠ ولتستح الحفـــر
وســـرت غضبـــان فى التاريـــخ لاعنق
إلا ومنــــك علـــــى طياتــــه أثـــــر
تصـــفو وتحنـــو ، وتستعلـــى ، وتبتدر
وتستفــــز ، وتستثنــــى ، وتحتقــــر
هــــذا زمانـــك ، لاهــــذا زمانهـــــم
فأنـــت معنـــى وجـــود ليـــس ينحصـــر

فـــى كـــل أرض وطئتهـــا أمم ترعـــى بعبـــد كأنها غنـــم(١)
وإنمـــا النـــاس بالملـــوك وما تصلـــح عرب ملوكها عجم(١)

(١) أبيات مقتبسة من المتنبى ٠

.. .. وتكفهر على مرآتك الصور

أتعقــم الأرض هــذى الأم أى دجــــى

هذا الــذى فى عيــون النـــاس ينتشـــر

وينحنى شجر الأيام والغضـــب القدسى

يغـــــدو انكســـــارات ، وينحســـــر

* *

فلتسمع النصـــب الجوفـــاء والأطـــــر

هذى الأغانى البواكى فـــى فمـــى نـــذر

إذا تساقـــــط فـــى أيامهـــــم علـــــم

فإن أعـــــلام مـــن يأتـــــى ستنتصـــر

وإن يخـــن خائـــن فالأرض واحـــــدة

برغـــــم مـــن خـــان والآلام مختبـــــر

* *

وقلــت بغـــــداد يابغــداد أى فتـــــى

كان الفتـــى وهـــو فـــى عينيك يزدهر

أنت التـــى اخترته للعشـــق كان إذا

رآك فـــى لهـــب الأحـــداث ينفجـــــر

ويحرث الأرض كالمجنون يحرثهـــــا

براحتيـــن همـــا الإحبـــاط والظفـــــر

أقـــــل مجــدك أن الفاتحيـــن وقـــــد

جاءوا غزاة علـــى أبوابـــك انكســـروا

وبعض مجــدى أن الكــون لى فلــك

شعـــرى وأنـــت عليـــه الشمس والقمر

بغداد أشأمـــت مشـــدودا إليـــــك ويا

شام الهـــوى أنا فـــى العاقـــول أنتظـــر

وياحدائــق كافــور القديـــم ســـوى

تلـــك الثمـــار التـــى حملتهـــا الثمــــــر

* *

الله ياكـــم تغربنـــــا وكـــــم بلغـــت

منـــا الهمـــوم كمـــا لـــم يبلـــغ الكبـــر

فإن أكـــن أمـــس قـــد غازلت أمنية

حيث استوى الصمت أو حيث استوى الصجر

فالمجـــــد أعظـــــم إيقاعا ورب دم

يمشـــى حزينـــا ويمشـــى إثـــره قــــدر

* * *

تبقى لنا مصر

[إلى أحمد شوقى ..
فى ذكراه الـ ٦٥]

يبقى لنا خالداً من شعرك .. الذهــب الـــ
منقــوش فــى شرقــات الشمــس والنغمُ
يبقــى لنا نهــرك الفضـــى منسكبـــاً
حيــث الرعــاة الرماديــون والعـــدم
يبقــى لنا صوتك العالــى ، وقد هرعــت
إليــك تستبـــق القامـــات والقمـــم
تبقــى لنا تلكـــم الآيـــات سابحـــة
بيــن المجــرات ، لامــوت ولا هـــرم
تبقــى لنا مصــر فــى عينيــك لؤلؤة
مكنونـــة ، حارساهـــا النيـــل والهــــرم
يبقــى لنا منـــك ما لاتستطيـــع يـــد
ترقــى اليـــه ، ومـــا لايستطيـــع فم

* *

خمس وستــون حلمـــا ماثـــلا وكمـــا
مرت غيــوم الليالـــى مـــرت الســدم

خمس وستون ، والساحات تغــرق فــى
سحائــب الــدم ، والأشبــاح ترتطـــم
والأرض تطــوى جناحيها على زمـــن
يطــوى جناحيــــه مقهـــوراً وينهــزم
والعرب حيث تركــت العرب ، رايتهم
ألف ، وأمتهــم فـــى أرضهـــا أمـــم
ســدى تــدور رحاهـــم ٠٠ أينما ذهبوا
تراكمـــوا ٠٠ واستبيحـــت منهـــم الحرم
مهمشون ، يتامـــى العصر ، ليـــس لهم
مـــن حفلـــة النصـــر إلا العـــى والصمم
يستمطـــرون سحابـــاً ليـــس يمطـــر
مظلوماً ٠٠ ويبســط كفيــه لمن ظلموا
أولاءهـــم ســادة الدنيـــا القديمـــة
والدنيـــا القديمـــة مهمـــا ازينت حلم
أولاءهـــم نصـــب مزهـــوة صدئـــت
عظامهـــا ، وكســا ألوانهـــا السقــم
أولاءهـــم يا أمير الشعر ، فارث لمـــن
نســوك ، قبـــل صياح الديك وانهزموا
بلـــى نســـوا وعيـــون الحق شاهدة
أن الخنـــوع جحيـــم ، والطمـــوح دم

وأن بعـــض وصايــــا الأنبيـــاء لهـــم

أن لاتغصــوا بمـــاء الـــذل واقتحمـــوا

وأن اعداءكـــم أعـــــداء امتكـــم

كثــر ٠٠ وأنهـــم باقـــون حيـــث همو

وأن عصـــــراً صليبيــــاً يكــــاد إذا

تخاطفتكـم صقـــور الغــــرب ينتقـم

وأن ثمـــة سيفـــــاً فـــى السمـــاء فقـل

للحاكميـــن اعدلـــوا فى الناس واحتكمـــوا

وقـــل لمـــن حســب الأيــــام لعبتــــه

إن الإلـــــه لـــــه فـــــى خلقــه حكـــم

* *

بلـــى نســـوا يا أميـــر الشعـــر فانكفاوا

بعضــاً على بعضهم فى الحرب وانقسموا

وخـــان مـــن خـــان منهـــم وهو متشح

وعـــــار تاريخــــــه مـــن فوقـــه علـــم

وهان من هان ، والإنسان إن سقطــت

أوطانــــه سقـــط الإنســـــان والقيـــم

وبـــاع مـــن بـــاع منهـم أرضـــه ثمناً

لعرشــــه ، فاعتلـــاه وهـــو منهــــزم

وســـال شـــئ مـــن الأعنـــاق تعرفـــه

الأعنـــاق ، واختلــط الجــزار والغنـــم

وكـــان يا ما كــــــان ياشـــــط الخليـــج

فهل تـــدرى رمالك أن النــــار تضطرم

*   *

بلى ، ولى من هموم العصـــر أعمقهـــا

جرحـــا ، ولـــى من دموع الناس مالهمو

ولـــى إليـــك التفاتات الحنيـــن وبعض

مـــن مثولـــى لديـــك العشـــق والألــــم

وأصـــدق الشعـــر أقســـاه ، وأنـــت به

أدرى ، وكـــم مـــن محـــب فيـــك متهـــم

*   *   *

إلى الأخطل الصغير

قف خشوعاً، واخفض الرأس فقد أشعل الموتى القناديل وقـــاموا
والذى تبصــــره عينـــاك فـــى ذلك الضوء الرمـــادى زحـــام
والذى يسقــط مـــن أقدامهـــم هيكـــل رث البقايـــا وحطـــام
عادت المعجـــزة الكبـــرى ٠٠ فللمـــوت رغـــم الموت بـــدء وختام
فتعلـــم كيـــف تحيـــى أمـــــة نسيت أن البطـــولات اقتحـــام
أن أرض الحر مهما اغـــتربت أرضه فهى على الغير حـــرام
أن تاريخاً مشـــت فـــى ظلـــه قدم الطغيـــان تـــاريخ مضـــام
يا أمير الشعر أغضبها ، فقـــد تخصب الروح ، وتخضر العظام
ولقـــد ينفـــض عنـــه كفـــن الصبـــر شعـــب ثـــــأره لـــيس ينــــام
ولقـــد يستـــل يومـــا سيفـــــه ذلك العدل الجريح ٠٠ الانتقام

* *

أمـــة يثقـــب مـــن رايتـــــها كلما امتدت على الأفق انقســـام
وحزيـــران علـــى أبوابـــــها لعنة تغلى ، وعـــار ، واتـــهام
بعثروهـــا ، مزقـــوا وحدتـــها فهى سودان ، ومصر ، وشـــآم
ونســـوا أن النواقيـــس غـــــداً تتنـــادى ، والموازيـــن تقـــام
ونســـوا أن الضحايـــا أبـــــداً نارها فوق الملاييـــن ضـــرام

* *

أنت فى لبنان ، والشـــعر لـــه   فى ربى لبنان عـــرش ومقـــام
شاده الأخطل قصـــــراً عاليـــاً   يزلق الضوء عليـــه والغمـــام
وتبيت الشمـــس فـــى ذروتـــه   كلما داعـــب عينيهـــا المنـــام

*   *

أنت فى لبنان ٠٠ والخلد هنـــا   والرجال العبقريـــون أقـــاموا
حملـــوا الكـــون على أكتافهم   ورعـــوا غربتـــه وهـــو غلام
غرســـوا الحـــب ٠٠ فلمـــا أثمر الحب ، أهدوه إلـــى الناس وهاموا
غربـــاء ٠٠ ومغنيـــن ٠٠ وأحلـــى أغانيهـــم علـــى الأرض السلام

*   *

أنت فى لبنان والجـــرح كمـــا   كان يا لبنان ٠٠والنار ضـــرام
وفلسطيـــن التـــى كانـــت لنا   ســـورة تتلـــى ، وقداساً يقـــام
وشيوخـــاً تذكـــر الله ٠٠ فمـــلء المحاريـــب صـــلاة وصيـــــام
ونبييـــن صفـــت أرواحـــــهم   فلياليـــهم ســــــجود وقيـــــام
كـــان بيـــت الله قدســـياً بـــهم   قبل أن يأتى على القدس الظـــلام
وأتوا ٠٠ ياكبريـــاء انتفضـــى   وانتقم ياجرح واغضب ياحسام
قـــل لهم إن صلاح الدين قـــد   عاد والمهدى والأنصار قاموا
وصحـــا الموتـــى الفدائيـــون ٠ ٠ فالأفـــق الشرقـــى نار وقتـــــام
قل لهم عودوا إلى هجرتكـــم   ففلسطين هى الأرض الحـــرام

قـل لـهم إن المـدى متسـع   بيننا ٠٠ والحرب دين والـتزام

فأقيمـوا كيـف شئتـم إنمـا   نحـن أو أنتـم عليهـا يا لئام

* *

يا أمير الشعر ٠ والشعر رؤىً   نبويـات عليـهن لثـام

واقف منـك أنـا فـى حضـرة   هى كالبحر اصطخاب وارتطام

كلما جئـت كسـتنى رهبـة   فأنا صمت خجول ، واحتشـام

أدنوّ منك ٠٠ والدرب ازدحام   وتناء عنك ٠٠ والشوق التحام

* *

مثلما السفن الغريبات ٠٠ إذا   الريح جدران على الأفق ضخام

وتصايحنا ٠٠ ولكن الروئ انطفأت ، وانهـار فـى الصمت الكلام

* * *

انتماء

[إلى روح الأخطل الصغير ٠٠]

آت ، بلى كيـف تدعونـي وأحتجـب
إنى إلـى شعـرك العلـوى أنتسـب
جبلـت من طينـة فى راحتيـك هى
الإرث الإلهى ، والإنسـان ، والعرب
وجئـت إثـرك فـى أرض معمـدة
بالنـار يسطع فيهـا المجد والغضب
غصـان بالشعـر والأسـرار أسكب
أنغامـى إلى الناس مخمـوراً وأنسكب
كـان لـى منـك فى لبنـان عائلـة
مـن النجـوم تغنـى وهـى تلتهـب
كأننـى فى مـداك الرحـب مجمرة
يموج فيهـا الشـذى والسحر والذهب
كـأن بعـض وصايـاك الجليلة فى
عينـىّ أن جليـل الحـب ماتهب
وقلـت والأفـق الممتـد يصلبنـى
فـوق القبـاب وينـأى بـى ويقترب

فى الموت لى وطن إن لم يكن وطنى

هـو العواصـف والأمـواج والسحب

وقلـت لليـل ياليـل الطوائـف لى

قصيـدة لـم تـزل فانزاحت الحجب

وقلـت للشعـراء الغائميـن بـلا

ضحو ولا رعشة فى الروح تضطرب

غنـوا مـع الموت وابكو فى جنائزه

واستدفئـوا بالمراثـى إنهـا حطـب

وقلـت للشمـس فى أقصى تفجرها

تمضيـن أنت ويبقى فى دمى اللهـب

وقلـت ياحـب للحـب القديـم فما

أبقـى على وغطـى عمـرى التعب

وقلـت حسبـك يالبنـان فانتفضـت

مدائـن واستدارت فى الدجى الشهب

حسبـى وحسبك إرث الميتيـن ورا

يـات الرجـال البدائييـن والقبـب

حسبـى وحسبك أن النار حين مشت

فوق الحقول تساوى الزهر والحطب

وأن مـن كسبوا فيها كمن خسـروا

وأن من خسـروا فيهـا كمن كسبوا

بعض الناس !

النار تطبع وجهها القزحى
فى موج الستائر والقباب البيض
هل تصغى إلى اللغة التى نطقت بها الثيران
أية لعنة تجتاح هذا الجيل ؟ !
– لن يصغى الرماد لغير فأس الريح
– سر عذاب هذا الجيل ، فى أكفان جلاديه
– كيف نسيت أنك شاعر والقوم موتى
ومضيت تنحت تلكم الأوثان فى شفتيك نحتا
وكأن من شربوا دما ، وتقيّأوه دماً ، ومقتا
ينسون أنك أنت بعض الناس
والطغيان أعلى منك صوتاً
ياالافتضاح السر ، كيف نسيت أن المخطئين من الرجال ..
هم الرجال المخطئون :
الجالسون على حطام عروشهم
وأنا وأنتَ !

* * *

قوس الليل ٠٠ قوس النهار

شبيهة فى صمتها الأخضر
بالخيل التى تصهل فى ذاكرة الماضى
وبالنجم الذى يحرس أبواب الشتاء
حالمة كأنما ترفل فى طقس من البهاء
ناعمة كطفلة عارية مكسوة بالماء
هل تعرفين ثمنا للحب ياسيدتى
قالت : وهل غير اكتماله بالحب ؟
– والإيمان ؟
قالت : عبق فى الروح
– والرغبة ؟ والقسوة ؟ والحنين ؟
والغسق الليلى ؟ والتآكل الحزين
قالت : وماذا بعد ؟
– فى أيامنا ، وأنت فى أيامنا
يسقط قوس الليل ، معكوساً على قوس النهار
ونحن ٠٠ نحن البشر الفانين فى هذا المدار
نجئ مغلولى اليدين
نذهب مغلولى اليدين
وقد نموت مطبقى الشفاه

عاجزين ..
مثلما ترين .. !
مثلما ترين !

* * *

من شرفة باريسية

منذ سنين مررت من هنا
وقفت طويلاً ، تحت هذه السماء
هل تراها باريس أخرى !
لم تعد الأشياء هى الأشياء
تغير كل شئ ٠٠ لم يتغير شئ
هى التى تغيرت ٠٠
أنا الذى تغيرت ٠٠
لم يزل راسين وكورنى ٠٠ فيكتور هوجو
وجورج صاند ٠٠ شارل بودلير وجان كوكتو ٠٠
بيكاسو العصبى وجوجان ٠٠ سارتر وسيمون
كل فوق مقعده الحجرى
فى حديقة المدينة الخالدة
التى صنعت يوما ما ، تاريخ هذا العالم
تلفت حواليك ٠٠ بلى تلفت حواليك ٠٠
إن السيدة الجميلة ، العريقة التى
كانت عشيقتك ، ذات صباح ، ذات مساء
لم تزل تحمل عبقها ونضارتها ، وهى تطل عليك الآن
مسترخية ، وبازخة ، ووديعة
مليكة أسطورية تتألق فى شرفة باريس

أنت الآن هنا ..

والآخرون هناك

أنت الآن أعمق سكينة

ولكنك أشد اشتعالا ..

أقل جنوناً ، ولكنك أكثر طمأنينة

ليت لنا ، نحن الذين نمضغ ليل نهار

فى بلادنا ، كلمات الحرية والديمقراطية ، وحقوق الإنسان

ليت لنا ، بعض مالنا هنا

فى وطن الغربة ، باريس !

* * *

لو ماتت فى شفتى الكلمات

زمنى قاس ٠٠ زمنى جلاد لا يرحم
زمنى وجه يتفجر من شفتيه الدم
زمنى يا أخت هوايا أصم
يخنقنى كى لا أتكلم
وأنا إنسان يتألم
وأنا أبصر ، أسمع ، أعلم
أعلم ان الحرية تحكمها القضبان
أن شعوباً ما زالت تتبنى الأوثان
أن الثورات تموت وتولد فى الإنسان
أعلم أنى لا شئ ٠٠ سوى ظلمات
لا شئ ٠٠ سوى روح مظلم
لو ماتت فى شفتى الكلمات
ولو أطبقت عليها الفم

* *

زمنى يا أخت هوايا حزين
صوت نبى ٠٠ وصراخ سجين

وصباح ٠٠ ومخالب تتين
تقطر بالدم فوق الآفاق الشرقية
لتظل الشمس وراء العالم منسيه

* *

ليظل الإنسان الخلاق
ابن الأيام المغسوله
ببطولات القرن العشرين
يساقط ملوى الأعناق
تحت الأقدار المجهوله
ويموت ٠٠
وفى كفيه الطين
زمنى ٠٠ يا أخت هوايا هرم
فى داخله جثمان إله
ما زالت تومئ لى عيناه
أن أسجد ٠٠
لكنى أعلم
أن حرير العالم مهما غطى الأموات
ستظل عرايا دون حياة

ستظل رفاتاً يتهشم
لو داست فوق ثراه قدم

*　*

زمنى ٠٠ يا أخت هوايا عجب
موسم جوع ٠٠ وجبال ذهب

*　*　*

زهر الكلمات

لم أجد غير نافذة فى سمائك
مبتلة بدموعى
فألصقت عينى فوق الزجاج
لعلى أراك
لعلك تبصرنى ، وأنا هائم
مثل سرب من الطير ، منهمك فى مداك
لماذا تلوح لى من بعيد
وتتركنى مغلق الشفتين
وتدخل فى غابة من سناك
لماذا تغيب ؟
كأنك لم تدر أنى زرعتك فى جسدى
فازدهرت نقوشا
وأنى نثرتك فى أفقى
فأشتعلت شموعا
وأنى رسمتك أودية ، ومدائن مسحورة
وتشكلت مثلك فى زرقة الكائنات
وما زلت أولد فى زهر الكلمات !

* * *

الكرنفـــال

يا لهذى المدينة ..

مأخوذة بانهياراتها وهى تحلم بالمستحيل

يالهذى المدينة ..

مزهوة ، مثل أغصان كافورة

تتزين فى كرنفال الرحيل

يالهذى المدينة ..

قلت لنفسى ..

إنى تناثرت فوق حوائطها ذات يوم

وتسكبنى الريح ملء طواحينها ذات يوم

وأمضى ..

ويبقى العذاب ورائى

ويأتى الذين سيأتون من بعد

هذى المدينة من جسدى

فهى أزهار صيفى الحزين الجميل

وعشب شتائى

وكنت إذا ما استدرت ، فلم ألق

غير نعوش النبيين فوق يديها

تقوقعت فى كبريائى

وأطفأت شمعى ، منكفئا

فى مدارى الطويل
بعض هذى المدينة موتى
وبعض الدم المتجمد فى شفتيها غنائى !

*　　*　　*

أغنى .. وأكتب مرثيتى

كلما أختلجت شهوة الدم فى الأرض ..
أشعلت المدن الوثنية فى الظلمات
معابدها ..
وأراحت خيول الغزاة ..
حوافرها العاريه
فوق خارطة الشرق
أواه ..
ياحائط الأوجه الدموية
والصفقات المدانة
تضحكنى كبرياؤك
تضحكنى المومياوات شامخة بالهزيمة
مزهوة بالإهانة
ترفعنى راية من سواد على قبة القدس
تتقشنى آية فوق مقبره الدولة الأموية
أسقط غضبان ..
أحمل شاهد قبرى الى الله ..
ألعن أزمنة الموت والبربريه

أركض متشحاً برصاص الخيانة
مختبئاً فى تجاويف أقنعة الجاهلية
أصرخ فى غسق الأمة العربية
أيتها الراية المستحمة بالنار والدم ..
أرواح ألف نبى ترفرف عبر نسيجك ..
أيتها الأمة العربيه !

* *

حين تحسست جرحك فى عتمة الفجر
أغرقنى فى هوانهم ، الجالسون على شرفة العصر
أحدق بى التترى المتوج ..
باغتنى من شمالى
باغتنى من يمينى
لامس بالسيف عظم جبينى
– متهم أنت
– أعلم .. لكنكم تحرقون الحدائق والطير
لم تتركوا للذين سيأتون
إلا رماد الحدائق والطير
– متهم أنت
– أعلم .. لكنما الأرض مافتئت
والعدو يضاجع تاريخكم ..

ويبارك حرب أغانيكم الوطنيه
إن جرح فلسطين ليست تضمده الكلمات
وعار حزيران ..
تغسل عار حزيران معركة القادسيه !

* *

ولهذا أغنى لمن سيجيئون يوما
ويمشون فوق عروش الهزيمة ..
قبل تساقط رايات جيلى ..
ولهذا أغنى ..
وأكتب مرثية الساقطين على الدرب
قبل رحيلى !

* * *

النـــدم

يولد فى أعماقنا كالشجر الغريب
يكبر مرتين .. قبلما نراه
كما تهب فجأة سحابة المغيب
والشمس ما زالت تبارك الحياه

* *

وعندما يولد فينا ذلك الزوال
فى لحظة تعرفها الحياة بالقلق
نصبح نحن مثلما نغوص فى الرمال
ذاك لأن شيئاً فى نفوسنا احترق
نصبح أعيناً ترى .. ولا نرى
جامدة مثل عيون ميتين
نصبح أرؤساً تقبها الكرى
وصب ملئها الفراغ والسكون
نصبح أقداماً تغوص فى ثرى
يغوص تحتها ملايين السنين

* *

ذاك لأن شيئا فى نفوسنا ثمين
داست عليه قدم
ذاك لأن الندم
يشب فى أرواحنا كل حين



صورة حديثة للشاعر فى باريس

الغريــب

من ياترى تكون ؟
تسكب الدهشة فى عيونى رؤيتك
تجذبنى هيئتك المضطربة
عيونك الصغيرة المدببه
قامتك الطويلة المكتئبه
حذاؤك القديم الباهت اللون ،
خطاك المتعبه
وربطة العنق بلا اعتناء
كأنها سنبلة خضراء
تلتف حول الرقبه

*   *

من ياترى تكون ؟
شمس الاستواء
أحرقت جبينك النبيل
ألقت فوق وجنتيك
لونها الجميل
نضارة الكاكاو ، والزيتون ، والنخيل

أيها الغريب
ربما تعثرت على الصخور
ألف مرة حتى عييت
ربما مددت كفيك
لبئر عقمت أثداؤه ، فما سقيت
ربما سقطت فى عاصفة من الثلوج
ربما مضيت تسأل البحار
النازحات ، والقفار
عن منار
عن خليج
ربما لم تلق يوما مضجعك
يا رائع الغربة
لا .. لاتقل ما أضيعك
إنا شبيهان .. فقف
قف لحظة
قلبى معك

* *

الناس يولدون أغرابا
وحين تلتقى الغربة بالغربة
فى طريق

يولد طفل الحب والمعرفة
أجمل منه ، لم تشاهد قط عينان
لأن أطفال الحياة حين يولدون
يخضوضرون لحظة ..
وينضجون ، ثم يسقطون
فى قبضة العاصفة
لكن طفل المعرفه
يخضر أشجاراً على طول الطريق

* * *

ريح الحزن القادم

غضبَى يتكسر فى عينيها الضوء
وتصطدم الأشياءْ
تعود عناكب ميتة ..
ودمى عرجاء
تستغرق ضاحكة ..
فى غرفة أرملة سوداء
أرجوحتها صدئت من أعوام

*   *

وخيوط رداء
يتآكل فى صمت
وسحاب بكاء
لمغن يستجدى رواد الحانة
مفقوء العينين
لطفل ميْت فى السنتين
لجيش يغرق فى بحر الصحراء
لأن الشمس بغير يدين
لأوجه أطفال ، ونساء

تغرورق أعينهن قليلا
خلف زجاج الموت
قليلا خلف زجاج الموت
وتختلط الكلمات
وتشهق روح الصمت
وتنشق المرآة !

* *

غضبى يا مولاتى ..
لو أعرف من أى الآفاق
تهب الريح
لكنت سبقت الريح
وكنت نشرت على جنبات ..
الأفق ردائى
من أقصاه إلى أقصاه
لأحجب ريح الحزن القادم عن
عينيك .. وأنصب عرشك قرب الشمس
وأعزف موسيقاى محبا
فى ملكوت الله

* *

غضبى يامولاتى
لو أقدر كنت ملأت حديقتنا الجرداء
بالزنبق والدفلى
وكنت غسلت كآبات الفقراء
من أجلك ياعينى
ولكنى لا أملك إلا الكلمة فى شفتىّ ..
أسطرها حيناً فى الصخر
وحيناً أنقشها مثل المجنون
على صفحات الماء !

* * *

أعرف أنك كنت ستأتين

-١-

أن أحبك
كانت عيون من الدم تسطع
فى الساحة النبويه
أن تنبت الزهرة المستحيلة ثانية
فى صحارى الحرائق والملح ٠٠
أن تولدى أنت
لا ٠٠ ليس غيرك
أن تولدى أنت فى ٠٠
وأولد فيك ٠٠
ارتعاشة راع ، يقرب قربانه للإله
سكون شهيد ، يسير إلى الشمس ٠٠
متشحاً فى دماه ٠٠
وفى موج عينيك أنت
اغتسلت أنا ٠٠
واختبأت أنا
وانهمرت مع الثلج ، والطير ، والفقراء

ركضت براياتهم ٠٠
كانت الأرض خلفى ٠٠
وكان مدار الفصول ٠٠
اشتعلت صفوفا من الشمع ٠٠
فى الردهات ٠٠ وفى عتبات الذهول
انتظرتك أنت ٠٠
وعيناى شوك السياج ، فلم تأتى ٠٠
ثم انتظرتك أنت ٠٠
وقلبى عطر الحقول ، فلم تأتى ٠٠
ثم انتظرت ٠٠
ستأتين ٠٠
أعرف أنك كنت ستأتين ٠٠
ثم أتيت ٠٠ تباركت ٠٠
وليتبارك بهاء الحقيقة فيك ٠٠
لكم كنت أرقب فجرك ٠٠ أحلم
أن سوف ألقاك ٠٠
واخجلتا كيف ألقاك ؟
والثلج تحت جفون المدينة
والطير عبر قطار العواصف
والغرباء ٠٠

-٢-

أن أحبك ..
فى زمن الموت والشوق ..
كانت ضفائرهم تتلوى ، وتمتد
حول قبور المدينة
والقائد الأموى يقلب عينيه فى الغيم ..
والشاعر الأموى يقلب ساقيه فى القيد
والساحر الأموى يقلب كفيه فى الرمل
ممطرة يا سموات ..
والأرض غارقة فى المجاعه ..
دانية يا مواسم ..
والخيل توحل فى جثث الخيل

-٣-

كان طفل النهار يموت
وطفل الظلام يخط على صدر
من أرضعته سطور الرضاعه
كان وجه الجمال يغيب
وفى حائط الأفق المتحدر
يسطع وجه البشاعه

-٤-

أن أحبك ..
موغلة فى جبال الظهيرة أنت
وفى شجر الليل ..
قلبى عليك ، الظهيرة والليل ..
أنت اعتناق الظهيرة والليل
أن أحبك ..
يكبر مجدك أنت ..
ويكبر فوق زمان الفجيعة حبى !
أن أحبك وحدك ..
ألمح أشباحهم فى رماد القناديل
يا من هى الفرح المتوهج
فوق رماد القناديل
والغابة الشفقية قلبى !

* * *

ماضيـــها

ماضيــك ٠٠ لو أنى أغار عليك من ماض ، لأحرقنـــى لظـــاه
لسقطــت إعيــاء أطـــارده ، وفـــى عينّى جـــرح مــــن رؤاه
فضّـــى طلاسمـــه ، اهتكـــى أســـراره ورمـــوزه ٠٠ حتى أراه
وأراك أنـــت بــــه ٠٠ أرى حواء كيـــف تغوص فى وحل الحياه
قصيّـــه ضاحكة وباكيـــه ، وصارخـــة ومطبقـــة الشفــــــاه
فلربمـــــا أيقـــظت غيـــرة شاعر مثلـــى ، فعـــاد إلـــى هـــواه

*　　*

ماضيــك ٠٠ لا لاتخجـــلى منه فلى ماض ، له نبض كنبضــــى
تعـــدو على بعـــضى سنابـــك خيله مذعورة ، وتدوس بعضى
ماض دفنـــت عظامـــه يومـــا ٠٠ لأنســـاه بأرض غير أرضى
فـــإذا بـــه حـــى ، يطـــل على مبتسما ، ويمضى حيث أمضى
وأفـــر منــــه إليـــه ، ثـــم أعود ياأختـــاه ، حيث بدأت ركضى
ماضيك أو ماضى ، ســـوف نعيش فيه معذبين ، وسوف نقضى

*　　*

وأفــر منـــك إليـــك ياماضـــى سنينى الآتيـــات دجـــى وفجرا
لأكـــاد لا أقـــوى على رؤياك ، كيف غدا أراك ، وأنت ذكرى
لـــوددت لو أنى نقشتك فى عظامى ، فى جبين الشمـــس شعرا
لـــوددت لـــو أنـــى سكبتـــك فـــى دمـــى عرقـــاً إلهيا وعطرا
لـــوددت لـــو أنـــى خلقتـــك صـــورة لاتنمحـــى دهـــراً فدهرا
لـــوددت ٠٠ لكنـــى حمـــلت خطيـــئة الماضى على كتفىَ قهرا



يتسلم وسام الفاتح العظيم من الأخ العقيد معمر القذافى

قائد الثورة الليبية

البنفسجات الثلاث

لو فجأة تدفق الياقوت
يا أميرتى السوداء
لو تضرم السكوت
لو تعرجت حوائط البيوت
لو رأيت شاعراً يموت
جثته طريحه
وقلبه حمامة ذبيحه
ودمه على الثرى عباءة حمراء
تنقرها الغربان والسلاحف الحدباء
فما الذى كنت ستصنعين !
ما الذى كنت ستصنعين ؟
تنتزعين زينة العرس
وتلبسين زينة الحداد
وتندبين !
وربما بصقت نقمة على الجلاد

لأنه أسكت صوت شاعرك
أسكت صوت رجلك
وربما ستذكرين مقلتيه كيف كانتا
وتشهقين يا أميرتى
لكن إلى متى ؟

*　　　*

أول عشاقك ؟
جاء بعد ما ذهبتْ
رأيته يمشى على قبرى فابتسمت
فغرت فاهى
يده تنام فى يدك
ثم مضيتما تقهقهان
وتركضان
يا إلهى
اتندى
هذا رفات جسدى
يوجعنى كل رفات جسدى
أزهرت البنفسجات السود فى يدى
العقم والظلام والصقيع

فلتتمدد الجذوع
إن وراء هذه اللحود
مسافراً على قطار لن يعود
أواه ٠٠ يا أميرتى الحزينه
لضعفنا نحن رسوم الزينه
الأصص ٠٠ الزخارف ٠٠
الساعة فى واجهة المدينه

* *

بداية الرواية الألم
خاتمة الرواية الألم
أكذوبة هى الرواية
أكذوبة هو الألم

* * *

النافــذة

الشمس فى شرفتها واقفة
تفك شعرها الأنيق
تنفضه ضفائراً على الطريق
ثم تغنى ، وتدير ظهرها إلى الحريق
الشمس فى غرفتها
والجوع فى الخارج والضبابْ
يحدقان كاللصوص من ثقوب الباب
ويمضغان شجر العذاب

*　　*

ثم استدارت مرتين
الشمس فى غرفتها استدارت مرتين
مالت بعنقها الجميل
الوثنى المستطيل
والشعر الماسى فى قمته قنديل
يميل حيثما تميل
عادة تنزلق القطيفة الحمراء

عن كتفين مثل هاتين الرخامتين
ينزلق الحرير خطوتين
ينزلق الحرير للركب
يشحب لونه من التعب
ويقشعر الصمت والصخب
وتنبت الأعشاب فى السحب

* *

ثم تطلعت إلى المرآه
لست وحدك التى تحدقين الآن
ياشمس فى المرآه
فالضباب والجوع يحدقان
ياشمس فى المرآه
يبتسمان فى انبهار وعجب
إلى عناقيد البنفسج الذى انسكب
فزوق المرآة بالألوان
ثم انعكسا
وصار قبة مشعة
وصار ليلاً مشمسا
ياشمسها
ياسيدى الجسد

يأكلنى الحسد
لاتغلق النافذة انتظر
إنى على نافذة الرصيف أنتظر
أسيل أحزاناً ولا أحد
أرنو ٠٠ وأرتعد
قلبى يرتعد
والليل يرتعد
والنور يرتعد
والطائران الجائعان
يحلقان فوق وجهى ، وينقران
نافذة الأبد

* * *

أغنية موت قصيرة

وتهادت الغربه
عرجاء تبكينى وتضحكنى
وتريق ألوانى ٠٠ وتغزلنى
ليلاً خريفياً بلا لون
ليلاً عجوزاً طاعن السن
يعدو بخيمته ويحملنى

* *

ورأيت بومات وأغربةً ،
تصطف عبر مداخل المدنِ
عمياء ترمقنى ،
حيناً وتنقرنى
وتظل تنقرنى
وأنا أطل عليك ٠٠
غائر القدمين والعينين فى بدنى
كالجذع كالحربة
فى غابتى المنسية الرطبه

وصرخت حين تلوت الغربه
بى ٠٠ فى ضفائر شعرها الوثنى
يا أول الدنيا وآخرها
لولا هواك لمت فى وطنى !

*　*

أو أنت تلك ؟ كأن زنبقة
حجرية نبتت على دربى
وحملتها يوماً لأزرعها
مابين مجرى الماء والعشب
فتجعدت ، وحنوت ثانية
فزرعتها فى مخدعى الرطب
لكنها انفرطت
ولو صبرت ٠٠
لزرعتها كالشمس فى قلبى

*　*

أو أنت تلك المرأة الذئبة
مرحى إذن بالموت فى الغربه

*　*　*

الزائر والأسئلة

أبطأت وهـــي وراء البـــاب تنتظـــر
هل جئت تحيـــي الهـــوى أم جئت تعتذر
تكاثرت أوجه العشـــاق واختلـــطت
عليك أصوات من غابوا ومـــن حضروا
ومن قضوا فى منافيهم ومن شربـــوا
خمر النخيـــل ومن فى صحوهم سكـــروا
ومن إذا ذكـــروا لبنـــان أعرقهـــم
فى حـــب لبنـــان أن الحـــب ينتصــــر
ومن هم الآن فى النسيان حيث نـــأت
أيامهـــم ونـــأوا عنـــه فمـــا قـــدروا
أبطأت واختطفتك الريح، والزمن الـــ
مخبوء تحـــت جنـــاح الريـــح ، والسفر

* *

والآن بعد انتصاف الشمس فيـــك وقد
سالـــت علـــى الأفق الأشباح والصـــور
وقد تضرجـــت الألـــوان وانهتكـــت
تلـــك المســـوخ الخرافيـــات والأطـــر

الآن هل لم تــزل نـــار الطقوس كمـــا
كانت وهل ظـــل فـــى تحليقـــه الشجـــر
والطير هل هى ذات الطيـــر ، تحفـــر
مسراها علـــى الشفـــق السارى وتنحفر
والحب هل هو كـــأس الشعـــر نكســـر
فى رحيقـــه بعـــض مافينـــا وننكـــــسر
والناس هل أبصـــرت عينـــاك غيـــر
أسى يمشى علـــى قدميـــه ثـــم ينهمـــر
وتسأل العـــرب الأقحاح عـــن وطـــن
فتضمحـــل معانيهـــــم وإن كثـــــــروا...
وتلمـــس المـــوت فى أرواحهـــم فإذا
مسســـت أجســـادهم مستنكـــراً نفـــروا
وتسأل العصر هل كانوا وهل غرقت
وجوههم فى بحـــار الرمـــل واحتضروا
وأيهـــم خان رايـــات النضـــال ومن
هذا الذى حاصر الأبطـــال فانحصـــروا
وتسأل القادة الفانيـــن كيـــف نســـوا
والضعـــف ينخـــر فيهـــم أنهـــم بشـــر
وأنهـــم مقبـــرة الطغيـــان موحشـــة
مـــن فوقهـــا حجـــر ، من تحتهـــا حجر

ويسألونـــك عـــن لبنـــان ، يسألــك

الفجـــر السمـــاوى والأصداف والـــدرر

وجوقة من ملوك الشعر ترسم فـــى

بلـــــور بيـــروت رؤياهـــا وتبتكــــر

وفوضيـــون من أقصى الزمـــان إلى

أقصى الزمان فلا نامـــوا ولاسهـــــروا

وعاشقـــون إذا طاف الجمـــال بهم

تناسخـــوا فيـــه مبهوريـــن وانسحـــروا

وحالمـــون كـــأن لـــم يولـــدوا أبداً

ولــــم يمـــر بهـــم رعـــد ولا مطــــر

فآمنوا بالجمال المحض ، وانفجـــرت

أشلاؤهم فى رمـــاد الكـــون وانفجـــروا

* *

ويسألونـــك عـــن لبنـــان كيف صحـــا

الفينيـــق والنـــار فـــى التابوت تستعـــر

كأنهـــم صـــادروا حـــق الحـــياة فلا

حيـــاة تنبـــض إلا حيثمـــــا أمـــــروا

كأنمـــا استصغـــروا لبنـــان فاحتسبوا

ماتبصـــر العيـــن ، لا مايدرك البـــصر

كأنمـــا جهلـوا أن الألـى حملـــوا

سـر الحضـارة يومـاً مـن هنا عبروا

وزهـرة الماء فاضت من هنا ، وهنـا

استوى علـى عرشـه الإنسـان والقدر

* *

ويسألونـك قـل للسائليـن بلـى

لم يحصـدوا القمـح إلا أنهـم بذروا

توسـدوا نجمـة أوقـاع هاويـة

لكنهـم فـي فضاءات الغـد انتشـروا

غاموا قليـلا فغامـت بيـن أعينهـم

دنيـا ، وأظلمـت الحيطـان والستـر

ويخرجون من الأمس الحزين كمـا

الأشواق تنبـت ، والأحـلام تزدهـر

ويكتبـون وهـم موتـى صحائف من

داسوا علـى حرمات الشعب واحتقروا

* *

لبنان والشعـر موسيقى الإله ، وبعض

الشعر مـن كرمة فى الغيـب يعتصـر

لـو كان لـى لغفـرت الإثم معتـذرا

عمـن أساءوا ومـن هانوا ومن غدروا

ولانكفأت علــى ذاتــى كمــا انكفــأوا

ولانكسرت علـــى ضعفـــى كما انكسروا

لكن تلـــك العذابـــات التـــى ارتسمـــت

على وجوه الضحايا ‥ كيف تغتفـــر ؟

* * *

خارج الموت

كالفجر تولـد مغسـول الضيـاء نقـى
لاتدخـل الموت فـى أرض ولا أفـقِ
ولاتغيَّـب عـن جيـل وإن بعـدت
بـك السنيـن وطالـت رحلـة الغسق
وبعض قدرك فينا أن مجدك فى الأرواح
ينبـت ، والساحـات ، والطـرق
وأن صوتـك كان العصـر ممتزجـاً
بالعظـم والفـرح الطينـى والأرق
يا أمة لم تكـن فـردا ٠٠ ولاجسـدا
إذا ارتـوى الفـرد من طغيانه وسقى
ولدت فى وطنيـن : الدمـع والعـرق
وعشـت فى وطنين : القلـب والحدق

* *

كالفجـر ، كالمطـر الآتى مـن الزمن
كالسيف فى النار ، لم تضعف ولم تلنِ
عصفـت باليأس ، كـان اليأس عاصفة
فوق المدينة ذات المـرقـد الخشـن

لابد مـــن نجمـــة فـــى الليـــل تائهـــة

كـــم نجمـــة فى جبين الليـــل لم تكـــن

أكل ميـــراث هـــذا الجيـــل ضاع سدى

يا يأس ، أنت غريب الوجه عن وطنـــى

ويافجيعـــة ، روح الأرض واحـــــدة

فلـــيس ثمـــة مـــن روحين فـــى بـــدن

وإن يخـــن خائـــن أو ينتكـــس علـــم

فالشعـــب لم يـــنس قتـــلاه ولـــم يخـــن

ألمـــة أعطـــت الدنيـــا حضارتهـــا

يوما وكانت كتـــاب المجـــد حيـــث فنى

تظـــل مطرقـــة موتـــا وفـــى يدهـــا

إرادة إن تمـــسّ المـــــوت يحتقـــن

*   *

فـــى القهـــر رائحة القضبان قلت لهـــم

والعمـــر يقطـــر فى قـــارورة الأبـــد

ثم ارتحلـــت ، ومن لم يمـــض مرتحلا

لم يـــأت قـــط ، ومـــن لـــم يأت لم يعد

أكـــان يغمـــض عينيـــه عليـــك فلـــم

تبصـــره مختبـــأ فـــى الحقـــد والحسد

لقـــد رأينـــاه إلا مـــن خيانتـــه

عريـــان ، يرفـــل فى أثوابـــه الجـــدد

رأتــه مصـــر فغطــت وجههـــا بيـــدٍ
كـــى لاتـــراه ، ومســـت رأسهـــا بيد
لاتمض أكثر ، لن تبقـــى الغـــداة وإن
ظننـــت أنـــك باق فـــى ضميـــر غـــد
وأعول الرمـــل فى سينـــاء وارتعـــدت
عينـــا فدائيــــة مصريـــة الجســــــد
وكان يمشـــى ، وكان الـــدرب منزلقا
والعار يهطـــل أمطـــاراً ، ولـــم يكـــد

*　　　*

مـــن أنت ؟ قالت له القدس التى سمعت
خطـــاه بين خطـــى الأعـــداء تقتـــربُ
هذا التـــراب رجـــال أحرقـــوا دمهـــم
نصراً سجينـــا عليـــه قبلمـــا ذهبـــــوا
من أنـــت ؟ فى مشيـــة الأبطال ياطللاً
يمـــشى وفـــى يـــده التاريخ ينتحـــب
من أنـــت ؟ تنهـــار فى كفيـــك أعـــمدة
من الجـــلال ويبكى المجـــد والحسب
من أنـــت ؟ يا أنـــت لارب ولاقـــــدر
ولا دمشـــق ولا مصـــر ولا العـــرب
مرغ جبينك أنى شئت تنحسر المأساة ،
يوما ، ويكســـو الساحـــة الغضــــــب

قطــرة ضوء

ياجفنـــى الساهــد ٠٠ نــمْ قــد رقــدت حتـــى الظُّلَـم
حتــــى حقـــول الحنطـــة المتشحـــات بالسقـــــم
حتـــى مســـارج الزيـــوت العالقـــات فـــى الخيـــــم
حتــــى عيـــون الأفـــق المنطفئـــــات فـــى ســأم
حتـــى مباخـــر الشـــذى حتـــى مـــــراوح النســــــم
حتـــى أراجيــــح الظـــــلال الراقصـــــات بالقمـــــم
لــم يبــق فـــى الوجـــود كائــن سوانـــا ٠٠ لـــم ينـــم
نحـــن الذيـــن نقطـــر الضـــوء بأجفــــان الرمــــــــم
ياكــــم تكحلنـــــا بليـــــل ، وتدثرنـــــا بهــــــــــمّ !
وكـــم مشينـــــا فـــوق شـــــوك اليـــأس مـــن نجـــم لنجم
وكـــم حرثنـــا حقلنــــا بفأسنـــا الأعمـــى الأصـــــــم
وكـــم حصدنـــاه ٠٠ حصدنـــا مازرعنـــا ٠٠ ثـــم لم ٠٠
بلــــى ٠٠ جنينـــا مــــلء أيدينـــا جراحـــات ودم
كأننـــا لمـــا زرعنـــــاه ٠٠ بذرنـــاه ألــــــــم

* *

ياجفـــنــى الساهـــد نــــــــمْ
قــــد رقــدت حتـــى الظلــــمْ !

تحت الأمطار

أيهـا السائـــق ٠٠ رفقـاً بالخيــــول المتعبـة
قــف ٠٠ فقــد أدمـــى حديـد السرج لحـم الرقبــه
قــف ٠٠ فــإن الدرب فـــى ناظـــرة الخيل اشتبــه
هكــذا كـــان يغنـــى المــوت حـــول العربـــه
وهـــى تهــوى تحــت أمطــار الدجـــى مضطربــه

* *

غيــر أن السائــق الأســود ، ذا الوجــه النحيـــلْ
جــذب المعطــف فـــى يــأس علـــى الوجــه العليل
ورمـــى الــدرب بمـــا يشبــه أنــــوار الأفـــول
ثــم غنـــى سوطــه الباكـــى على ظهر الخيول ٠٠
فتلــوت ، وتهــاوت ، ثــم سارت فـــى ذهــول !!

* * *

أغصان الليل عليك

مطر ذهبى يهبط أبراجا وقباباً
فى غابات الشمس ..
وخيل جامحة تتزاحم تحت صهيل الريح
وبعض من أوراقك فى شجر الأيام
وحائط صلبان متعانقة ، وشموع ضريح
فأذهب منفى الدم والأسطورة ..
لاتغمض عينيك على عينيك سدى
واجعل من حلمك حين ينام العالم
مركبة من أنغام وعطور
وانزع قلبك مما ينزع قلبك ..
مثل نبى لحظة أشعله التاريخ
تجسد فى رؤيا البشرية جوهرة زرقاء
ودائرة من نور !
وتشكل فى الأسماء وفى الأصوات ، وفى الألوان
الأسود يذبل محموماً فى الأبيض
والياقوت الأحمر ، يغرق فى الياقوت الأصفر
(والضدان المضطجعان
على حجر الأبدية
يلتحمان ، وينفصلان

وينحدران ، ويرتطمان
ويستويان)

* *

فى الداخل ..
خلف البوابات الصماء المرصودة
حول نواميس العالم
تتأنق مأساة العالم
وتغيم سماء الله الأعظم خلف البوابات
وتموت الشمس ، وتولد أطفال الظلمات
ولهذا سوف تظل تعانق لعنتها
وتقاتل أنفسها الأموات ..

* *

لو أدرك إنسان الغابات الراكض
عبر حدائقه الوحشية فوق خيول الوقتْ
معنى الزمن الآتى
لتهدم مبغوتا ..
ولأبصر خوذته الملكية غارقة فى نهر الموت
خانت بعض الكلمات وبعض الإيماءات
وهاهى ذى تتمايل راعشة
أغصان الليل عليك ..
وأنت بلا درب .. وبلا صاحب

ياويح جنونك ..
أين تعلق صورة شعرك
فى زمن المجد الكاذب !

* * *

مقدمة الزيارة

[لحظة خشوع فى حضـــرة الإمام
على بن أبى طالب ٠٠ فى رحاب
النجف الأشرف]

وقــفت والشمـــس ملقـــاة علـــى كتفى
وبيـــرق الشعـــر فى عينـــىّ غيـــر خفى
وعاصـــف يكنس التاريخ فهـــو دمىّ
مستوحشـــات وغيـــلان مـــن الخــــزف
وساحـــرات يغربلـــن الفـــراغ وقـــــد
تناسخ المـــوت فى الأشبـــاح والنــــطف
وكان مـــوج الرجال الراقصيـــن على
حرائـــق العصـــر ممتـــدا علـــى الجرف
وكنـــت أركـــض فى حلمى إليك وبى
إليـــك مابـــى مـــن شـــوق ومـــن شغف
لعل بعض ارتحالى فيك بعـــض دمى
فى طينـــة الأخضريْـــن : الماء والسعف
يسقى العظام التـــى جفـــت منابعهـــا
الأولى ، وينفـــخ روح الله فـــى الجيـــف

* *

وقفت ياسيدى ياقوس دائرة

من النبوات منذ البدء لم تقف

أصغى وأوغل فى الأشياء منسكبا

وسائلا فى عناق الصخر والصدف

وقد أراك وأدرى أن قدرك فى

معارج السر ، سر بالجلال حفى

وقد تباغتنى رؤياك معتكفا

على بقايا سراج فىّ معتكف

فأستبيح لنفسى أن أقول لها

فى خافت من جريح الصوت مرتجف

فيم اضطرابك أو شكواك مطرقة

هما وخائفة يانفس لاتخفى

هذا عراق أمير المؤمنين وهذى

الأرض أرض علىّ ساكن التجف

* *

هذا العراق وكم من غاصب كبرت

أحلامه ثم لم يحصد سوى التلف

هذا عراق العراقيين عزتهم

فى النفس لا فى حقول النفط والترف

هذا عراق الألى خطت أناملهم

شريعة الله فى الأحجار والصحف

تكالبـــت حولهـــم دنيـــا مسيجـــــة

بالنـــار والـــدم والصلبـــان والصلـــف

واستهدفوا رأس بغداد فما انخفضت

رأس ، وزادت شموخـــا وقفـــة الشرف

* *

وقلـــت والغيـــم عبر الغيم ينسجنـــى

برقـــا وينفضنـــى فى دمعى الـــزرف

كم غائب حاضر تحت القباب هنـــا

وكاشـــف بـــث شكـــواه ومنكـــشف

وساجد راعـــش الكفيـــن مجمـــرة

فـــى مقلتيـــه وألـــوان مـــن الســـدف

وغـــارق فى مقـــام الوجـــد تحسبه

طيفـــا لطيـــف زمـــان جـــد مختلـــف

وقلت يانفـــس ما أغلـــى البـــلاد وإن

ضـــاق الحصـــار علـــى أبنائها الأنف

ومـــا أرق معانيهـــا وإن خشـــنت

فيها الحيـــاة وسالـــت دمعـــة الشظف

فامشـــى إلى قـــدر لاتعرفيـــن لـــه

إلا الوفـــاء ومجنـــون النضـــال وفى

واقرى السلام إذا جـــد الســـلام على

دار السلام وبوسى الأرض وانصرفى

معزوفة لدرويش متجول

شحبت روحى ، صارت شفقاً
شعت غيماً وسنا
كالدرويش المتعلق فى قدمىْ مولاه أنا
أتمرغ فى شجنى
أتوهج فى بدنى
غيرى أعمى ، مهما أصغى ، لن يبصرنى
فأنا جسد .. حجر
شئ عبر الشارع
جزر غرقى فى قاع البحر ..
حريق فى الزمن الضائع
قنديل زيتى مبهوت
فى أقصى بيت ، فى بيروت
أتالق حيناً ، ثم أرنق ، ثم أموت

* *

ويحى .. وأنا أتلعثم نحوك يامولاى
أجسد أحزانى ..
أتجرد فيك

هل أنت أنا ؟

يدك الممدودة أم يدى الممدودة ؟

صوتك أم صوتى ؟

تبكينى أم أبكيك ؟

* *

فى حضرة من أهوى

عبثت بى الأشواق

حدقت بلا وجه

ورقصت بلا ساق

وزحمت براياتى

وطبولى الآفاق

عشقى يفنى عشقى

وفنائى استغراق

مملوكك .. لكنى

سلطان العشاق !

* * *

موسيقى فوضى الأشياء

يروق للعابد أن يرى انسكاب وجهه
فى شمعة البكاء
يروق للشاعر أن يعلق النجوم فى قطيفة السماء
يروق للمرأة أن تنشر نصف شعرها فى الشمس
والنصف على أريكة المساء
يروق للقطة أن تمارس التثاؤب الجميل
والتحديق فى مدفأة الشتاء
يروق للصوفى أن يخلع تاج العقل
أو يلبسه فى الحلم ، عندما يشاء
يروق للطاغية الإبحار فى ذاكرة الموتى من الأحياء
يروق للأعمى اكتشاف عبث الألوان
فى تماثل الغناء
يروق للجاهل أن يغرس وردتين فى قميصه :
الغرور والغباء !
يروق للقاتل أن ينصت مشدوها إلى قيثارة الدماء
يروق لى ، أن أسأل الطفل القديم :
- هل رأى طفلا من النور يذوب فى الهواء !

* * *

ياقوت العرش

دنيا لا يملكها من يملكها
أغنى أهليها سادتها الفقراء
الخاسر من لم يأخذ منها
ما تعطيه على استحياء
والغافل من ظن الأشياء
هى الأشياء !

* *

تاج السلطان القاتم تفاحة
تتأرجح أعلى سارية الساحه
تاج الصوفى يضئ ،
على سجادة قش
صدقنى .. يا ياقوت العرش
أن الموتى ليسوا هم ..
هاتيك الموتى
والراحة ليست ..
هاتيك الراحه
عن أى بحار تسألنى يامحبوبى

عن حوت
قدماه من صخر
عيناه من ياقوت
عن سحب من نيران
وجزائر من مرجان
عن ميت يحمل جثته
ويهرول حيث يموت
لا تعجب يا ياقوت
الأعظم من قدر الإنسان هو الإنسان
القاضى يغزل شاربه لمغنية الحانه
وحكيم القرية مشنوق
والقردة تلهو فى السوق
يامحبوبى ..
ذهب المضطر نحاس
قاضيكم مشدود فى مقعده المسروق
يقضى ما بين الناس
ويجر عباءته كبرا فى الجبانه

* *

لن تبصرنا بمآق غير مآقينا
لن تعرفنا

ما لم نجذبك فتعرفنا
وتكاشفنا
أدنى ما فينا قد يعلونا يا ياقوت
فكن الأدنى
تكن الأعلى فينا

* *

وتجف مياه البحر
وتقطع هجرتها أسراب الطير
والغربال المثقوب على كتفيك
وحزنك فى عينيك
جبال
ومقادير
وأجيال
يامحبوبى لا تبكينى
يكفيك ويكفينى
فالحزن الأكبر ليس يقال

* * *

يوميات حاج إلى بيت الله الحرام

-١-

قوافل ياسيدى قلوبنا إليك
تحج كل عام
هياكل مثقلة بالوجد والهيام
تسجد عند عتبات البيت والمقام
تقرئك السلام
ياسيدى
عليك أفضل السلام

-٢-

على الرفات النبوى كل ذرة عمود من ضياءْ
منتصب من قبة الضريح ،
حتى قبة السماء
على المهابة التى
تخفض دون قدرك الجباه
راسمة على مدار الأفق أفقاً عالياً
من الأكف والشفاه

يموج باسم الله :

– الحمد لك

والشكر لك

والمجد لك

والملك لك

يا واهب النعمة يامليك كل من ملك

لبيك لاشريك لك

لبيك لاشريك لك

-٣-

ياسيدى عليك أفضل السلام

من أمة مضاعة

خاسرة البضاعه

تقذفها حضارة الخراب والظلام

إليك كل عام

لعلها أن تجد الشفاعه

لشمسها العمياء فى الزحام

-٤-

ياسيدى

منذ ردمنا البحر بالسدود

وانتصبت ما بيننا وبينك الحدود

متنا ..

وداست فوقنا ماشية اليهود

-٥-

ياسيدى

تعلم أن كان لنا مجد وضيعناه

بنيته أنت ، وهدمناه

واليوم هانحن !

أجل ياسيدى

نرفل فى سقطتنا العظيمة

كأننا شواهد قديمه

تعيش عمرها لكى

تؤرخ الهزيمه !

-٦-

لاجمر فى عظامنا ولا رماد

لاثلج لاسواد

لا الكفر كله ولا العباده

الضعف والذلة عاده

ياسيدى

علمتنا الحب

فعلمنا تمرد الإراده

-٧-

ابك لنا

وادع لنا

فالعصر فى داخلنا جدار

إن لم نهدّمه

فلن يغسلنا النهار

* * *



الفهـــرس



رقم الايداع ١٥١٧٣ / ٩٩
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-241-298-5

مطبعة العمرانية لأوفست
الجيزة: ت: ٥٨١٧٥٥